

# عباس بن فرناس شاعراً

الدكتور صلاح جرار

قسم اللغة العربية وآدابها - الجامعة الأردنية

## مقدمة

عبّاس بن فرناس شخصية أندلسية فذة امتازت بالنبوغ والميل إلى التجريب والابتكار، وأثبتت حضوراً قوياً في ساحات العلم والثقافة والأدب، فطار صيتها في الآفاق، حتى أصبحت معلماً بارزاً من معالم الحضارة الإسلامية في الأندلس. ولعلّ أشدّ ما يصل بين أذهان الدارسين وبين عبّاس بن فرناس، تلك المحاولة الرائدة للطيران التي قام بها، فهي العامل الرئيسي الذي يقف وراء شهرته وذيوع صيته.

ولكن الذاكرة الإنسانية، التي حافظت على هذه المساهمة العظيمة لابن فرناس، طوت في أدراج النسيان جوانب أخرى مهمة من سيرته العلمية والأدبية، فقد كان هذا العالم الإسلامي صاحب اختراعات كثيرة وفنون متنوعة وثقافة متشعبة ومواهب مختلفة وأدب ونظم.

وتعنى هذه الدراسة بتسليط الضوء على الجانب الأدبي من سيرة ابن فرناس، الذي كان شاعراً متميزاً من شعراء البلاط لثلاثة من أمراء بني أمية في الأندلس.

ولعلّ سطوع نجم ابن فرناس في عهد مبكر من عهود الوجود الإسلامي في الأندلس يشكّل حافزاً من حوافز هذه الدراسة ويضفي عليها أهمية خاصة، لأن مراجعة الشعر الأندلسي، في بداياته المبكرة، تساعد على الكشف عمّا طرأ عليه في عصوره اللاحقة من تطور وتجديد، لا سيّما أنّ ما وصلنا من الأدب الأندلسي

ومصادره حتى نهاية عهد الإمارة الأموية (٣١٦هـ/٩٢٩م) قليل بالمقارنة مع العصور اللاحقة.

ونظراً إلى الصلة الوثيقة بين شعر عباس بن فرناس وسيرته وثقافته واختراعاته، فقد تعرّضت إلى جميع هذه الجوانب، وخصّصت لها القسم الأول من هذه الدراسة.

ووقفت في القسم الثاني عند شعره من حيث المنزلة التي احتلها الشاعر وشعره، ومن حيث موضوعات ذلك الشعر وخصائصه.

وما توفّيقني إلا بالله

## ١ - سيرته

لم تختلف المصادر حول كنية ابن فرناس واسمه ونسبه، ولكن بعض هذه المصادر زاد على بعضها الآخر في تفاصيل الاسم، أما كنيته فهي: أبو القاسم<sup>(١)</sup>، ومعظم المصادر اكتفت بتسميته عباس بن فرناس<sup>(٢)</sup>، وأضاف بعضها: ابن

---

(١) وردت هذه الكنية في عدة مصادر منها: الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨/١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦، ص ٣١٨؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ص ٤٣١؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): كتاب الوافي بالوفيات، الجزء السادس عشر، باعتناء وداد القاضي، دار النشر: فرانز شتاينر/ فيسبادن، ١٩٨٢هـ/١٤٠٢، ص ٦٦٧.

(٢) انظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت ٣٧٩هـ/٩٨٩م): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣، ص ٢٦٨؛ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له الدكتور محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٢٢٧، ٢٨٣، ٣٣٨؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٨؛ الضبي: بغية الملتبس، ص ٤٣١؛ ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٨م): المغرب في حلى المغرب ٢ج، حققه وعلق عليه: الدكتور شوقي ضيف، طبعة ثانية منقحة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤، ١/٣٣٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٦٧/١٦ (وفيه: العباس)؛ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، حققه: محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١١٩؛ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ج، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤، ٢/٢٨؛ المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣٢م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٨ج، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ٣/٣٧٤.

وَرَدَّاس<sup>(١)</sup>، وأضاف بعضها الآخر: التَّاكْرُزِيُّ<sup>(٢)</sup> وأضاف غيرها: المغربي<sup>(٣)</sup>. وعلى ذلك فإن اسمه: أبو القاسم عباس بن فرناس بن وَرَدَّاس التَّاكْرُزِيُّ. وهو من أعلام عصر الإمارة الأموية بالأندلس، ولم يورد أيُّ من المصادر تاريخ ولادته، ولكن ورد في كتاب المغرب<sup>(٤)</sup> ما نصّه "ذكر ابن حيّان أنه نجم في عصر الحكم الرّبيضي"<sup>(٥)</sup>. ويؤكد صاحب كتاب المغرب ذلك بقوله إنّ ابن فرناس "تداول صحبة السلاطين الثلاثة ومدحهم أجمعين"<sup>(٦)</sup> مشيراً إلى الحكم بن هشام المعروف بالحكم الرّبيضي (ت

---

(١) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨؛ ابن حيان: المقتبس (تحقيق د. محمود مكي) ص ٢٢٧؛ الفيروزآبادي: البلغة، ص ١١٩؛ السيوطي: بغية الوعاة، ٢/٢٨.

(٢) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.

(٣) الصّفيدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٧.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣، ولم أجد هذه الإشارة فيما وقفت عليه من أجزاء كتاب المقتبس لابن حيان.

(٥) الحكم الرّبيضي المشار إليه هنا هو الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، ولي الإمارة في الأندلس سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م، وعرف بالرّبيضي لأنه تغلب على ثورة أهل الرّيض القبلي من قرطبة سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م، وقتلهم وهدم ديارهم وحرّقها، وقال شعراً يفخر فيه بذلك، وكانت وفاته سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢. (انظر ترجمته في: ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٨؛ ابن الأبار القضاعي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر البلسني (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): الحلة السّرياء ٢ج، حققه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣، ١/٤٣؛ ابن عذاري المراكشي: كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٤ج، تحقيق ومراجعة: ج. اس. كولان، ا. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ٢/٦٨؛ الصّفيدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): كتاب الوافي بالوفيات، الجزء الثالث عشر، باعتناء محمد الحجري، دار النشر، فرانز شتاينر/ فيسبادن، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١١٧، لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٥م): تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٦٥م، ص ١٤.

(٦) ابن سعيد الأندلسي، المغرب، ١/٣٣٣.

٢٠٦هـ/٨٢٢<sup>(١)</sup> وابنه عبدالرحمن بن الحكم المعروف بعبدالرحمن الثاني أو الأوسط (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م) ومحمد بن عبدالرحمن بن الحكم (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)<sup>(٢)</sup>.

ويفهم ممّا أورده ابن سعيد الأندلسي نقلاً عن ابن حيّان أنّ ابن فرناس قد مدح الحكم الرضي، وإن كُنّا لم نقع له على شعر في مدح الحكم، وأنه صحبه، وهذا يعني، بالضرورة، أنّ ابن فرناس كان في أيام الحكم الرضي في سنّ تؤهّله صحبة الأمراء ونظم الشعر في مدحهم، وإذا كان الحكم قد توفّي سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م فإنّ ذلك يعني أنّ ابن فرناس كان قبل سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م في حدود العشرين عاماً من عمره، وينبغي على ذلك أن مولد ابن فرناس كان قبل ١٩٠هـ/٨٠٦م.

وإذا رجعنا إلى كتاب أعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب فإنه يطالعنا النصّ التالي في معرض الحديث عن هشام بن عبدالرحمن الداخل (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م): "وكانت أيام هشام<sup>(٣)</sup> خير أيام عافية وهدوء، وعدّه أبو محمد بن حزم

---

(١) بويج عبدالرحمن بن الحكم بعد وفاة والده سنة ٢٠٦هـ/٨٢٢م وظل أميراً على الأندلس حتى وفاته سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م، وكان شديد العشق لجاريته طروب. (انظر ترجمته في: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ١-١٠٠، ابن الأبار: الحلة السيرة، ١/١١٣، ابن عذاري: البيان المغرب ٢/٨٠-٩٣، لسان الدين بن الخطيب: اعمال الأعلام، ص ١٨).

(٢) وهو الذي كان معظم شعر عباس بن فرناس فيه، وصنع معظم اختراعاته له (انظر ترجمته في: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ١٠١-٣٩٩، الحميدي: جذوة المقتبس، ص ١١، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ٢/٩٣-١١٣، ابن الأبار: الحلة السيرة، ١/١١٩، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٠، وقد ذكرت عدّة مصادر أنّ ابن فرناس قد عاش في عصر هذا الأمير (انظر: ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: محمود مكي)، ص ٢٢٧-٢٢٨، الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٨، الضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٣١، ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣).

(٣) هشام بن عبدالرحمن الداخل، ثاني أمراء بني أمية في الأندلس ووالد الحكم الرضي، ولي إمارة الأندلس عند وفاة والده سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م وحتى سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م (انظر ترجمته في: ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/٦١، ابن الأبار: الحلة السيرة، ١/٤٢، لسان الدين بن الخطيب: اعمال الأعلام، ص ١١).

ثالث ثلاثة من العدول في بني أمية خاصة، وتوفي لسبع خلون من صفر سنة ١٨٠، وذكروا أنه سأل منجم زمانه، وأظنه العباس بن فرناس، عن مقدار أيام دولته، فاستغاه من ذلك<sup>(١)</sup>.

والناظر في هذا النص يلاحظ تحفظ لسان الدين بن الخطيب في نسبة عباس بن فرناس إلى عهد هشام بن الحكم، باستخدام كلمة "وأظنه"، لأن التسليم بمضمون هذه الرواية يعني أن ابن فرناس قد عمّر طويلاً وعاش أكثر من قرن من الزمن، ولو صح ذلك لذكرته المصادر، لا سيما أن ابن فرناس مشهور إلى درجة لا يخفى معها خبر كهذا عنه.

ولعلّ السبب الذي جعل ابن الخطيب يظنّ أنّ ابن فرناس هو الذي كان منجم الأمير هشام بن عبدالرحمن، أن ابن فرناس كان بالفعل منجماً<sup>(٢)</sup>، وأنه كان قريب العهد بعصر الأمير هشام، وهذا يؤكد لنا أنّ مولد عباس بن فرناس كان قبل سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م من غير أن نستبعد أنه أدرك عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن المتوفى سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م.

أما مكان ولادته فلم يذكرها أحد أيضاً، غير أنّ ابن سعيد الأندلسي ذكر في كتاب المغرب أصله ونسبه قائلاً "وهو مولى بني أمية وببته من براير تاكرونا"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) لسان الدين بن الخطيب: اعمال الأعلام، ص ١٤.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكّي)، ص ٢٨١-٢٨٢، ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١، الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٧/١٦.

(٣) ابن سعيد الأندلسي، المغرب ٣٣٣/١. وتاكرونا (Takuronna) في كورة البيرة بجنوب الأندلس وعلى مقربة من مدينة رندة (انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ/٢٢٩م): معجم البلدان ٥ ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٧-٦/٢).

وقد عُرف عَبَّاسُ بن فرناس بالذكاء، ولذلك وصفه حُرْقُوصُ<sup>(١)</sup> بقوله إنه كان بعيد الغور رقيق الذهن له شخص أنسيّ وفطنة جنّي<sup>(٢)</sup> ووصفه الزبيدي في "طبقات النحويين واللغويين" بقوله "وكان من أهل الذكاء والتّقَمَّ على المعاني الدقيقة والصناعة اللطيفة"<sup>(٣)</sup> ووصفه ابن حيّان صاحب المقتبس بـ "حكيم الأندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات والفنون"<sup>(٤)</sup> ولقّبه المقرّي في "نوح الطيب" بالحكيم<sup>(٥)</sup> تارة، وبحكيم الأندلس<sup>(٦)</sup> تارة أخرى.

ولعلّ مصدر هذه الأوصاف، التي أضفاها المؤرخون على ابن فرناس، هو تشعّب معرفته وبحثه في الفلسفة والعلوم وكثرة اختراعاته وكبر سنّه. أما عن المعارف والعلوم التي ألمّ بها عَبَّاسُ بن فرناس فهي كثيرة ومنها:

#### ١ - الفلسفة:

---

(١) أبو سعيد عثمان بن سعيد الكناني من أهل جيّان، سكن قرطبة، واشتهر بكتابه "طبقات شعراء الأندلس" وتوفي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م (انظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م): تاريخ علماء الأندلس ٢، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م/٣٠٣).

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٧.

(٣) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: المغرب ١/٣٣٣.

(٥) المقرّي: نوح الطيب، ١/١٦٢.

(٦) نفسه، ٣/٣٧٤.

فقد ورد في المقتبس ما نصّه "وجدتُ بخطّ أبي بكر عبادة الشاعر<sup>(١)</sup> يَأْتِرُهُ عن أحمد بن فرج البيساري قال: أبدع عباس بن فرناس عندنا في فنون التعاليم القديمة والحديثة وفلسف وعزّب في غير ما مذهب من الحكمة"<sup>(٢)</sup>، وجاء في المغرب في صفة ابن فرناس "وكان فيلسوفاً حاذقاً"<sup>(٣)</sup> ولكن لم يصلنا من مؤلفاته أو آرائه الفلسفية ما يدل على ذلك، اللهم إلا إذا كانت المصادر التي عرفت به وصفته بالفلسفة لكثرة انشغاله بالعلوم مما يكسبه الحكمة.

## ٢ - الفلك والنجوم:

ذكر حرقوص أن ابن فرناس "كان أبصر الناس بالنجوم وأعلمهم بدقائقها واعرّفهم بالفلك ومجاريه"<sup>(٤)</sup> وذكر صاحب المغرب أنه كان عالماً بالنتجيم<sup>(٥)</sup>. وقد وصف لنا صاحب "نفح الطيب" اختراعاً من اختراعات عباس ابن فرناس أشبه ما

---

(١) هو أبو بكر عبادة بن عبدالله بن محمد الأنصاري المعروف بابن ماء السماء من أهل قرطبة، شاعر مشهور من شعراء الدولة العامرية، وهو من أوائل الوشاحين الأندلسيين، ألف كتاباً في أخبار شعراء الأندلس، وتوفي بعد عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م بمدينة مالقة (انظر ترجمته في: الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٩٣، ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٤ أقسام في ٨ مجلدات)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، القسم الأول المجلد الأول ص ٤٦٨؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م: كتاب الصلة ٢ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ٢/٤٥٠؛ الكتبي، محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها ٥ج، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣، ٢/١٤٩، الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٢١).

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ٢٧٩.

(٣) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٧.

(٥) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.



يكون بالقبة الفلكية Planetarium إذ كانت هذه القبة مجسماً للسماء بجميع ما فيها من الظواهر الفلكية والمناخية من نجوم وغيوم وبرق ورعود، فقال "صنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود"<sup>(١)</sup> وقد وصف الشعراء، ومنهم مؤمن بن سعيد<sup>(٢)</sup>، هذا الاختراع وسخروا منه. وفي أبيات قالها عباس بن فرناس يخاطب بها الأمير محمد بن عبدالرحمن في شأن دفتر فيه تقويم فلكي يقول ابن فرناس:

ولا تتسین الدفتر المحکم الذي هو الغاية القصوى.....  
 فيا أسفي ان نال مكنون علمه سواك من الأملاك في غير ذا العصر  
 وزدني من الإدناء ما قد وعدتني فوعدك مضمون إلى حجج عشر  
 فليس محالاً أن احل محلّة أضيف لها قبلي المضاف إلى شمر<sup>(٣)</sup>

(١) المقرئ: نوح الطيب، ٣/٣٧٤.

(٢) أبو مروان مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس القرطبي من شعراء الأمير محمد بن عبدالرحمن، كان كثير المهاجة مع شعراء عصره، وخاصة عباس بن فرناس، وكان يهاجي ثمانية عشر شاعراً، ووصفه صاحب الجذوة بأنه شاعر مشهور كثير الشعر، وتوفي سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م، (انظر ترجمته في: الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد ابن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): بيتمة الدهر في محاسن أهل العصر ٥ ج، شرح وتحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٢/٢٣؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣٥٢؛ ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/١٣٢، وأورد له ابن حبان في المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) شعراً وخباراً في صفحات متفرقة، كما أورد له الكتاني في كتاب التشبيهات مقطوعات كثيرة في صفحات متفرقة، وله أخبار وأشعار في نوح الطيب للمقرئ.

(٣) يشير إلى الشاعر أبي محمد عبدالله بن الشمر بن نمير القرطبي، منجم الأمير عبدالرحمن ابن الحكم ونديمه، وكان شاعراً، جعله الحجاري رئيس المنجمين بالأندلس، وأصله من وشقة (انظر ترجمته في: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ١/٢٢٨؛ ابن حبان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٦٥، ٦٦، ٢٨٢؛ ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/١٢٤-١٢٧، وأورد الكتاني شعراً في كتاب التشبيهات، انظر: الكتاني، أبو عبدالله محمد بن الكتاني الطبيب (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م): التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٠١، ١٧١.

لقد كان مَنْ في رحمة الله<sup>(١)</sup> همَّ بي لهذا وما صار ابنُ شمرٍ إلى القَبْرِ

فأعرض عنه محمد ولم يسعفه<sup>(٢)</sup>.

ويعلّق الدكتور محمود مكي، في حاشية كتاب المقتبس<sup>(٣)</sup> من تحقيقه، على هذه الأبيات بقوله: "يبدو من الأبيات وممّا بقي من التقديم لها أنّ ابن حيان يورد هنا خبراً عن عبّاس بن فرناس مع الأمير محمد حول دفتر كان الأمير يحتفظ به، ويظهر أنّ هذا الدفتر كان تقويمياً فلكياً استعان به من قبل شاعر الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام: عبدالله أو عبدالرحمن بن الشمر، ولهذا فإننا نرى عبّاس بن فرناس يلحّ على الأمير في أن ينزل له عن ذلك الدفتر أو يسمح له بالاطلاع عليه، إذ ليس من المستحيل فيما يقول الشاعر أن يبلغ من المنزلة لدى محمد ما بلغه ابن الشمر من قبل لدى أبيه عبدالرحمن، ولا شكّ في أنه يعني بذلك ما كان ابن الشمر مقبلاً عليه من الاشتغال بالفلك، بل إنّه يذكر في آخر الأبيات أنّ أباه- أي أبا الأمير محمد - عبدالرحمن كان يهتم بإدناء عبّاس بن فرناس لبراعته في علم النجوم وابن الشمر ما زال بعد على قيد الحياة".

### ٣- النحو واللغة:

كان عبّاس بن فرناس من علماء النحو واللغة، ولذلك نجد الزبيدي يجعله في الطبقة الثالثة من النحويين واللغويين في الأندلس<sup>(٤)</sup> وهي بلا شكّ طبقة متقدمة، وقال عنه الزبيدي إنه "كان متصرفاً في ضروب من الآداب"<sup>(٥)</sup> وفي بغية الوعاة

(١) يشير إلى الأمير عبدالرحمن الأوسط.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق د. محمود مكي)، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٣) نفسه، ص ٢٨١.

(٤) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨؛ الفيروز آبادي: البلغة، ص ١١٩.

(٥) نفسه، ص ٢٦٨.

للسيوطي نقلاً عن الزبيدي أنه كان متصرفاً في ضروب من الإعراب<sup>(١)</sup> ومع أنه لم يصلنا من آثار ابن فرناس ما يشهد على مكانته في علم النحو واللغة إلا أن الباحث يستطيع أن يلمح الثقافة النحوية باديةً فيما وصلنا من شعره.

#### ٤ - العروض:

ورد في كتاب "طبقات النحويين واللغويين" نصٌ يتحدث عن انشغال عباس ابن فرناس بالعروض، وفحوى هذا النصّ: "وأخبرني محمد بن عمر بن عبدالعزيز قال: أخبرني ابن لبابة قال: جلب بعض التجار كتاب المثال من العروض للخليل<sup>(٢)</sup>، فصار إلى الأمير عبدالرحمن<sup>(٣)</sup>، فأخبرني أبو الفرج الفتي - وكان من خيار فتيانهم<sup>(٤)</sup> - قال: كان ذلك الكتاب يُتلاهى به في القصر، حتى إنّ بعض الجوّاري كان يقول لبعض: صيرّ الله عقلك كعقل الذي ملأ كتابه من "مَمّا، مَمّا" فبلغ الخيزر ابن فرناس، فرفع إلى الأمير يسأله إخراج الكتاب إليه، ففعل، فأدرك منه علم العروض، وقال: هذا كتابٌ قبله ما يفسّره، فوجّه به الأمير إلى المشرق في ذلك، فأتي بكتاب الفرش، فوصله بثلاثمائة دينار وكساه<sup>(٥)</sup>.

ويفهم من نصّ هذه الرواية أن ابن فرناس هو الوحيد الذي استطاع أن يفهم ما يشتمل عليه كتاب الخليل، وأتته كان ملماً بالعروض إماماً جعله يدرك أنّ هناك كتاباً آخر يفسّر ما في كتاب الخليل، ولذا أرسله السلطان إلى المشرق في سبيل ذلك، ورجع ومعه كتاب الفرش، وأنّ السلطان كافأه على ذلك وكساه. ولهذا قال

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ٢/٢٨.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٣) الأمير عبدالرحمن بن الحكم (عبدالرحمن الأوسط).

(٤) فتيان قصر الإمارة الأموية المعروفون بالصقالبة.

(٥) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨-٢٦٩.

حرقوص عن عباس بن فرناس "إنه أول من فكّ في بلادنا<sup>(١)</sup> العروض، وفتح مقفله، وأوضح للناس ملتبسه"<sup>(٢)</sup>، كما أشار عددٌ من المصادر إلى أنّ ابن فرناس هو "أول من فكّ بها (الأندلس) كتاب العروض للخليل"<sup>(٣)</sup>.

## ٥ - علم الموسيقى:

ليس من المستغرب أن نجد ابن فرناس عالماً بالموسيقى والألحان، فقريه من القصر ومجالسته للسلطان في مجالس الغناء والسماع، وانشغاله بالعروض، كلّ ذلك يؤهله للانصراف إلى هذا العلم، فعندما تحدّث الزبيدي عن دور عباس بن فرناس في فكّ معاني العروض للخليل زاد قائلاً "وكان مع ذلك يحسن علم الموسيقى"<sup>(٤)</sup>. وبالنظر إلى اتصال علم الموسيقى بعلم العروض وانشغال ابن فرناس بكليهما، وصفه صاحب النفع بأنه "أول من فكّ الموسيقى"<sup>(٥)</sup>.

ولعلّ من مصادر عناية عباس بن فرناس بالعروض والموسيقى أنه أدرك النهضة التي تزعمها زرياب<sup>(٦)</sup>، في الغناء والموسيقى في الأندلس، وأنه كان يشهد

(١) الأندلس.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٧/١٦.

(٣) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١؛ المقرئ: نفع الطيب، ٣٧٤/٣؛ وانظر أيضاً: شلبي، الدكتور سعيد إسماعيل: الأصول الفنية للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٤) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩.

(٥) المقرئ: نفع الطيب، ٣٧٤/٣.

(٦) هو أبو الحسن علي بن نافع، مغنّ بغدادي شهير، كان مولى للخليفة المهدي في بغداد، ثم قدم إلى الأندلس في أواخر أيام الحكم بن هشام، ولما مات الحكم سنة ٢٠٦ هـ همّ زرياب بالرجوع إلى بغداد، إلّا أن خليفته عبدالرحمن بن الحكم استبقاه ورحب به ورعاه، وذاع صيت زرياب في عالم الموسيقى والغناء. وتوفي سنة ٢٣٨ هـ قبل وفاة الأمير عبدالرحمن بن الحكم بأربعين يوماً، وصلى عليه الأمير (انظر: ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٨٧، ٢١٩؛ المقرئ: نفع الطيب، ٣/١٢٢-١٣٣).

مجالس الموسيقى والغناء التي كان يحييها زرياب وأبناؤه<sup>(١)</sup>، وأنّ ابن فرناس كان "يصنع للأمير محمد بن عبدالرحمن قطعاً من رقيق الأشعار تنتظم بمدحه وتصوغ قيانه فيها الألحان فيغنيه بها فيجزل عليها صلته"<sup>(٢)</sup> ولذلك كان من الطبيعي لابن فرناس أن يعرف أصول الموسيقى والألحان والغناء.

## ٦- الشعر: وهو موضوع هذه الدراسة.

ولئن كنّا نفتقر إلى ما يصلنا بالمساهمات العلمية لعباس بن فرناس التي ذكرت المصادر أنه اختصّ بها، إلا أننا نلمس صدى هذه المساهمات في شعره الذي صدر عنه وسلم بعضه القليل من عاديّات الزمن. وسوف نبين ذلك عند حديثنا عن شعره، بعون الله.

أما اختراعات عباس بن فرناس ومساهماته العلمية على الصعيد التطبيقي فهي كثيرة ومتنوعة أيضاً، وهي كفيلة مع معارفه المتنوعة أن تجعل منه شخصية فذة قلّ أن نجد لها نظيراً في تاريخ الحضارة الإسلامية في تلك الأزمنة المتقدمة، وقد أشار غير مصدر إلى تنوع هذه المساهمات والاختراعات، فمن ذلك ما قاله حرقوص مشيراً إلى ابن فرناس: "وكان متفلسفاً في غير ما جنس من الصناعات"<sup>(٣)</sup> ووصفه ابن حيان بـ "حكيم الأندلس الزائد على جماعتهم بكثرة الأدوات والفنون"<sup>(٤)</sup> وقال عنه صاحب المغرب بأنه كان "صاحب نيرنجات كثير الاختراع والتوليد واسع الحيل"<sup>(٥)</sup> كما استشهد به صاحب النسخ على ذكاء

(١) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩؛ ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود

مكي) ص ٢٧٩-٢٨١؛ المقرئ: نفح الطيب، ٣/١٣٣.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٧.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.

(٥) نفسه، ١/٣٣٣.

الأندلسيين واستخراجهم العلوم واستنباطها، وسماه حكيم الأندلس<sup>(١)</sup> وقد تناول الدارسون المحدثون هذا الجانب العلمي من سيرة ابن فرناس بدراسات عدة<sup>(٢)</sup>، ولذلك لا أجد ضرورة إلى إطالة الوقوف عند هذه المساهمات الحضارية وسوف أقتصر على ذكر هذه المساهمات وتوثيقها من مصادرها العربية، وذلك لما لها من صلة بيّنة بشعر ابن فرناس مما سنبينه لاحقاً بإذن الله. وأهم هذه المساهمات والاختراعات ما يلي:

### ١ - تجربة الطيران:

وهي التجربة التي تقف وراء شهرة ابن فرناس في الآفاق، فقد جاء في "المغرب" أنه "احتال في تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش على سرق الحرير،

---

(١) المقري: نفع الطيب، ٣/٣٧٤.

(٢) من هذه الدراسات: الأوسي، الدكتور حكمة علي: مظهران من مظاهر الأصالة في الفكر العربي، دراسة عرضها في مؤتمر الحضارة الأندلسية الذي عقد في القاهرة في شهر آذار، ١٩٨٥م، وخص فيها إبداعات عباس بن فرناس بالنصيب الوافر والمعالجة العلمية الدقيقة؛ ومنها دراسة لمحمد عبدالله عنان في كتابه "تراجم إسلامية شرقية وأندلسية" بعنوان عباس ابن فرناس عبقرية علمية أدبية فذة (انظر: عنان، محمد عبدالله: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص ٢٦٦-٢٧٠؛ ومنها بحث لإلياس تيريس Elias Teris Sadaba بعنوان: عباس بن فرناس، نشره في مجلة الأندلس، المجلد ٢٥، السنة ١٩٦٠م، ص ٢٣٩-٢٤٩؛ وكتب ليفي بروفنسال في E.L'evi - Provençal مادة بعنوان عباس بن فرناس Abbas B. Firnas في الموسوعة الإسلامية (Vol. 1, New ed.)؛ وهناك مقالة لبلاشير عن ابن فرناس منشورة في مجلة Hesperis، المجلد ١٠، السنة ١٩٣٠، ص ١٥-٣٦.

فتهياً له أنه استطار في الجور من ناحية الرصافة<sup>(١)</sup> واستقل في الهواء، فحلّق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة<sup>(٢)</sup>

ونقع في "نفح الطيب" على نصّ مماثل عن ابن فرناس يقول: "واحتال في تطيير جثمانه، وكسا نفسه الريش، ومدّ له جناحين، وطار في الجوّ مسافة بعيدة، ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه، فتأذى في مؤخره، ولم يدر أن الطائر إنما يقع على زمكه، ولم يعمل له ذنباً"<sup>(٣)</sup>.

وعلى إثر هذا المحاولة سخر منه خصمه مؤمن بن سعيد بقوله<sup>(٤)</sup>:

يطمُّ على العنقاء في طيرانها إذا ما كسا جثمانه ريش قشعَم

وتبع ابن فرناس في محاولة الطيران عددً من المغامرين العرب والأوروبيين<sup>(٥)</sup> فقد أجمعت المصادر التي ترجمت لإسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، صاحب معجم الصحاح، أنه بعد أن صنّف معجمه، مضى إلى الجامع القديم في نيسابور، وقيل إلى داره، فصعد السطح، ونادى قائلاً: "أيّها الناس إنني قد عملت في الدنيا شيئاً لم أسبق إليه فسأعمل للأخرة أمراً لم أسبق

---

(١) ربيضٌ من أرباض قرطبة. انظر: الحميري، محمد بن عبدالمنعم: كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥، ص ٢٦٩.

(٢) ابن سعيد الأندلسي: المغرب ١/٣٣٣.

(٣) المقرئ: نفح الطيب، ٣/٣٧٤.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣؛ المقرئ: نفح الطيب، ٣/٣٧٤.

(٥) انظر: الجراي، عبدالله بن العباس: تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص ١٧٤-١٨٠.

إليه" وضمّ جنبه إلى مصراعي باب، وتأبطهما بحبل، وزعم أنه يطير، فوق فمات. ولذلك اتهمته المصادر بأنه اعتراه اختلاط ووسواس<sup>(١)</sup>.

## ٢ - القبة الفلكية:

لقد ترجم عباس بن فرناس شغفه بعلم الفلك إلى عدة صناعات متصلة بهذا العلم، وكان من أبرز هذه الصناعات إقامته لقبة فلكية تمثل السماء بنجومها وغيومها وعودها وبروقها، ولذلك قال عنه صاحب "نوح الطيب" إنه "صنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود"<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن هذه القبة كانت كبيرة الحجم إلى الدرجة التي تسمح للمرء أن يجلس تحتها ويشاهد الظواهر الفلكية، ويظهر أنه كان يستخدم تقنية خاصة لهذا الاختراع من أجل إصدار أصوات كالرعد ومن أجل التلوين في الإضاءة التي تمثل البرق ولمعان الكواكب، ولهذا نجد الشاعر مؤمن بن سعيد يجلس تحت تلك القبة ويخرج بعد ذلك قائلاً:<sup>(٣)</sup>

قعدتُ تحتَ سماءٍ لابنِ فرناسٍ      فخلتُ أن رحيّ دارت على راسي

وقال أيضاً:<sup>(٤)</sup>

---

(١) ابن الأثيري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، قام بتحقيقه: الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٢٥٢-٢٥٣، القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٦م): إنباه الرواة على أنباء النحاة ٤ ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي/ القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ١/٢٣١؛ الفيروز آبادي: البلغة، ص ٦٧؛ السيوطي: بغية الوعاة، ١/٤٤٧.

(٢) المقرئ: نوح الطيب، ٣/٣٧٤.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٨.

(٤) المقرئ: نوح الطيب، ٣/٣٧٤.



سَمَاءُ عَبَّاسِ الْأَدِيبِ أَبِي الْـ      قَاسِمِ نَاهِيكَ حَسَنُ رَائِقِهَا  
أَمَّا ضَرَاطُ اسْتِهِ فَرَاعِدُهَا      فَلَيْتَ شِعْرِي مَا لَمَعُ بَارِقِهَا  
لَقَدْ تَمَنَّيْتُ حِينَ دَوَّمَهَا      فَكِرِّي بِالْبَصْنِقِ فِي آسَتِ خَالِقِهَا

ويفهم من وصف مؤمن بن سعيد لهذه القبة، وإن كان وصفاً ساخراً، أنه كان يخرج منها صوتٌ يمثل الرعد وأنَّ هذا الصوت يصدر عن آلة تعمل كالرحى.

### ٣ - المنقانة (أو المنجانة أو الميقاتة):

وهي آلة فلكية أيضاً صنعها عباس بن فرناس لمعرفة الأوقات<sup>(١)</sup>، وفي نفح الطيب أنه صنعها "على غير رسم ومثال"<sup>(٢)</sup> أي أنه لم يحتذ في صناعتها أية محاولة سابقة. وتذكر المصادر أنه بعد أن أحكم صنعها رفعها للأمير محمد بن عبدالرحمن ونقش عليها أبياتاً<sup>(٣)</sup>.

### ٤ - ذات الحلق:

وهي آلة فلكية أخرى تتكون من عدة حلقات متداخلة في وسطها كرة معلقة تمثل حركة الكواكب السماوية<sup>(٤)</sup>، وذكر ابن حيّان في المقتبس أن ابن فرناس عمل هذه الآلة قبل المنقانة وأنه رفعها للأمير عبدالرحمن الأوسط<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٢-٢٨٣؛ ابن سعيد الأندلسي:

المغرب، ٣٣٣/١؛ المقرئ: نفح الطيب، ٣/٣٧٤.

(٢) المقرئ: نفح الطيب، ٣/٣٧٤.

(٣) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٢-٢٨٣؛ ابن سعيد الأندلسي:

المغرب، ٣٣٣/١.

(٤) عنان: تراجم إسلامية، ص ٢٧٦.

(٥) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٣.

واعتمد الأستاذ محمد عبدالله عنان، في حديثه عن هذه الآلة، على مخطوطة من تاريخ ابن حيان ذكر أنه حصل على صورة عنها من مكتبة جامع القرويين بفاس، فذكر هذه الآلة وصفتها، وأورد أبياتاً كتبها عباس بن فرناس مرفقة بذات الحلق عندما رفعها إلى الأمير عبدالرحمن الأوسط<sup>(١)</sup>.

#### ٥- صناعة الزجاج:

ذكرت المصادر أن ابن فرناس كان أول من استتبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة<sup>(٢)</sup>.

#### ٦- صناعة التماثيل:

يلاحظ المتتبع للنصوص التراثية التي تتحدث عن صناعة ابن فرناس للتماثيل والتحف أن هذا العالم كان مهندساً متمكناً من فنّه. إذ كان يضع التصاميم للتماثيل والطرف العجيبة، ويستعين، في تنفيذ هذه التصاميم، بالمهندسين والنجارين، وفي ذلك أورد ابن حيان الأندلسي النص التالي: "قال الحسن بن محمد بن مفرّج<sup>(٣)</sup>: كان عباس بن فرناس الحكيم الشاعر لا تزال نقره قريحته الحكيمة يخترع الطرف الملوكية ويؤد الطرف المعجبة نوات الصور الجميلة والحركات البديعة بتلونها وإفراغ المياه منها في البرك وغيرها، ويستعين في إقامة أشخاصها ومعالجة

(١) عنان: تراجم إسلامية، ص ٢٦٧.

(٢) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١؛ المقري: نفح الطيب، ٣٧٤/٣.

(٣) هو أبو بكر الحسن بن محمد بن مفرّج بن حماد بن الحسين المعافري، يعرف بالقبشي، من أهل قرطبة، جمع كتاباً سماه "كتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء، نقل عنه ابن بشكوال في الصلة وابن حيان في المقتبس. ولد أبو بكر سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م، وتوفي بعد سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م. (انظر: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م): كتاب الصلة ٢، ج، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ١/١٣٦-١٣٧).

هندستها بأصبع عريف النجارين في القصر، يعلّمه عملها.... بصنعتها فإذا تمت ونظر إليها الأمير محمد أعجب بها وسرّه.... عباس مخترعها فأثابه على ذلك بما... أصبغ من أموالنا وهباتنا في هذا الوجه فيعطاه فرناس مضاعفاً لاغفالننا أمره" (١).

## ٧- الغناء وضرب العود ووضع الألحان:

لم يقف ابن فرناس عند حد العلم بالعروض والموسيقى وحضور مجالس الغناء ونظم الأشعار التي تلحنها جوارى الأمراء وتغنيها، بل نفع على روايات كثيرة تدل على أنه كانت له مشاركة في العزف والتلحين والغناء. فقد جاء في كتاب "طبقات النحويين واللغويين" أنه كان "يحسن علم الموسيقى ويضرب العود ويغني عليه" (٢). ومما نقله ابن حيان في كتاب المقتبس عن أبي بكر عبادة الشاعر يآثره عن أحمد بن فرج البيساري أن ابن فرناس "حذق الموسيقى إلى عانى ضرب العود وصوغ الألحان" (٣). ومن الروايات التي تنص على مشاركة عباس بن فرناس في الغناء والعزف، ما ذكرته المصادر عن أحد مجالس الغناء التي أقامها محمود بن أبي جميل الذي كان عاملاً على شذونة (٤) في أخريات أيام الأمير عبدالرحمن الأوسط، ففي هذا المجلس قام أحد أبناء زرياب (٥) يغني: (٦)

ولو ما يشقني الضاعنون لشاقتني حمامٌ تداعت في الديارِ وقوع

(١) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩.

(٣) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٧٩.

(٤) بالإسبانية Sidona، وتقع شرق قانس على الساحل الجنوبي الغربي للأندلس (انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٩).

(٥) ذكر المقرئ في نفع الطيب (١٣٣/٣) أن الذي غنى هو زرياب نفسه.

(٦) هذان البيتان من شعر ذي الرمة.

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى نوائح ما تجري لهنّ دموع

فعجب الحاضرون من غنائه واستعادوه، فلما تقضى غناؤه مدّ بن فرناس يده إلى العود فأخذه وغمى البيتين ووصلهما من عنده بديهة:

شددتُ بمحمودٍ يداً حين خانها زمانٌ لأسباب الرجاءِ قَطُوعُ  
بنى لمساعي الجود والمجد قبةً إليها جميعُ الأجودين رُكوعُ<sup>(١)</sup>

وقد بلغ من إكثار عباس بن فرناس المشاركة في الغناء والضرب على العود أن سعى ليصبح مغنياً عند الأمير محمد بن عبدالرحمن، فكتب إلى الأمير محمد ينجح بذلك عنده ويسأله أن يوصله إلى نفسه ويسمع غناؤه، ففعل، وأحضره مجلس أنسه في خاصّته، فجاء بعود معه، وانتهت النوبة إليه، فغنّاه بشعره الذي أوله:

الجهل ليلٌ ليس فيه نور والعلمُ فجرٌ نورُهُ مشهورٌ

فلم يهتز الأمير، واستمع لنوبةٍ أخرى منه قليلة، فلم يتحرك لها، فاستكره أن يستزيده، واستحى منه على ذلك، فأمر له بجائزة ثم لم يوصله بعد<sup>(٢)</sup>.

ويظهر أن إخفاق ابن فرناس في الغناء للأمير جعله يقتصر على نظم الأشعار الرقيقة في مدحه لكي تصوغ قيانه فيها الألحان ويغنيه بها، وكان الأمير يجزل صلته على هذه الأشعار<sup>(٣)</sup>.

## ٨- السحر والتنجيم:

(١) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩، المقري: نفع الطيب، ١٣٣/٣.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٧٩-٢٨١.

(٣) نفسه، ص ٢٨٤-٢٨٧، وقد أورد ابن حيان بعض هذه المقطوعات.

فقد ذكر صاحب المغرب أن ابن فرناس قد نُسِبَ إليه السحرُ وعملُ الكيمياء<sup>(١)</sup>.

وبسبب انشغال عبّاس بن فرناس بهذه الاختراعات والعلوم فقد "كثر" عليه الطعن في دينه"<sup>(٢)</sup> واتهم بالزندقة وكثر خصومه ومنتقدوه، إذ كان العمل في بعض هذه الاختراعات مدخلاً إلى وصمه بالزندقة، ففي محاولته للطيران مثلاً يمكن اتهام ابن فرناس بأنه حاول الصعود إلى السماء، وقد سخر منه معاصره مؤمن بن سعيد، حيث قال فيه مشيراً إلى محاولة الطيران<sup>(٣)</sup>:

يطمُّ على العنقاء في طيرانها إذا ما كسا جثمانه ريش قشعم

وفي صنعه للقبّة الفلكية التي أشبهت السماء بنجومها وغيومها وبروقها وعودها اتهم ابن فرناس بأنه أراد تقليد الخالق في سمائه، ولذلك سخر منه مؤمن ابن سعيد ثانية بقوله<sup>(٤)</sup>:

سماءُ عبّاس الأديب أبي الـ قاسم ناهيك حسنُ رائقها  
أما ضراطُ أسّة فراعدها فليت شعري ما لمع بارقها  
لقد تمثّيتُ حين دومها فكري بالبطق في است خالقها

وكلمة "خالقها" إشارة إلى عباس بن فرناس، وفي تلك إدانة واضحة له، ودليل على اتهامه بأنه، في بنائه القبّة الفلكية على هيئة السماء، أراد أن يكون خالقاً، مع أنه لا خالق إلا الله.

(١) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

(٢) نفسه، ٣٣٣/١.

(٣) نفسه، ٣٣٣/١؛ المقرّي: نفح الطيب، ٣٧٤/٣.

(٤) المقرّي: نفح الطيب، ٣٧٤/٣.

ومن ناحية ثانية ربط ابن سعيد الأندلسي بين نسبة ابن فرناس إلى السحر والكيمياء وبين الطعن عليه في دينه حيث يقول "إنه كان واسع الحيل حتى نُسبَ إليه السحرُ وعمل الكيمياء وكثر عليه الطعنُ في دينه"<sup>(١)</sup>، فكيف إذا اجتمع ذلك كله مع الغناء والموسيقى وصناعة التماثيل وغير ذلك مما ينظر إليه الفقهاء بغير ارتياح<sup>(٢)</sup>. غير أن اتهام عباس بن فرناس بالزندقة قد يكون مردّه، بالإضافة إلى ما ذكرنا، إلى خصوماته مع معاصريه من الأدباء والعلماء وتحاسده معهم، وكان أشهر خصومه الشاعر مؤمن بن سعيد الذي لم يدع مناسبة يهجو بها ابن فرناس ويسخر منه وينتقده إلا تعرّض له بها، ولذلك يقول ابن حيان في وصف عباس بن فرناس بأنه "قرن مؤمن ومناصبه في التهاجي"<sup>(٣)</sup>. وعندما ذكر مؤمن بن سعيد وصفه بقوله: "ندّ عبّاس ورسيله"<sup>(٤)</sup>. وقد أشار صاحب المغرب إلى ما بين الشاعرين من المهاجة، فقال مشيراً إلى عباس بن فرناس: "ونشأ بينه وبين مؤمن بن سعيد مهاجة، فأفحش الاثنان"<sup>(٥)</sup>. ومن الحكايات التي توردها المصادر الأندلسية عن علاقة ابن فرناس بمؤمن بن سعيد ما ذكره حرقوص قال "دسّ عليه مؤمن حدثاً كان يصحبه يقال له طلحة، فأتاه فقال له: يا أبا القاسم! إنك جنيت عليّ جناية. فقال: وما هي؟ فقال: إني جنبتُ بك الليلة، فأعطني سطلاً ومنديلاً أدخل بهما الحمّام. فقال: لا جزى الله مؤمناً

(١) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.

(٢) انظر على سبيل المثال: ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور، حققها ونشرها الدكتور إحسان عبّاس ضمن رسائل ابن حزم، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ص ٤١٩-٤٣٩؛ وانظر: ابن الدراج السبتي: كتاب الامتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع، دراسة وإعداد: الدكتور محمد بن شقرون، الرباط.

(٣) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ١٢٤.

(٤) نفسه، ص ٣٠١.

(٥) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.

خيراً فهو هودك إتيان المشايخ في اليقظة حتى صرت تجنب عليهم في النوم" (١).

وفي حكاية أخرى قال حرقوص: "وبصر (عباس بن فرناس) بمؤمن يوماً وقد ألقى على رأسه رداءً فعرفه وناداه: أبا مروان! أبا مروان! من خلفه، فاستجاب له ثم قال له: يا أبا القاسم! من أين عرفتني ولم تر وجهي وإنما رأيت قفائي؟! فقال: أنا أعرف بك من ورائك" (٢).

ولمؤمن بن سعيد شعرٌ في السخرية من اختراعات عباس بن فرناس واتهامه بالزندقة ذكرناه سابقاً.

ولمؤمن انتقادات لشعر عباس بن فرناس، فعندما أنشد الأخير الأمير محمداً من أبيات:

رأيتُ أمير المؤمنين محمداً وفي وجهه بذر المحبة يُثمرُ  
قال مؤمن بن سعيد: قبحاً لما ارتكبه، جعلت وجه الخليفة محرثاً يثمر فيه  
البذر، فحجل وسبه (٣).

ولعباس بن فرناس شعرٌ في هجاء مؤمن، نحو قوله (٤):

ترى أثر الأعراد في جحر مؤمن كآثار فُضْبٍ في رمادٍ مغربلٍ  
وعندما انتقد مؤمن القبة الفلكية التي أنشأها عباس بن فرناس بقوله:  
قعدتُ تحت سماءٍ لابن فرناس فخلتُ أن رحي دارت على رأسي  
ردّ عليه ابن فرناس بقوله: ليس كما قال ابن الزانية، كان ينبغي أن يقول:

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٧/١٦.

(٢) نفسه، ٦٦٧/١٦-٦٦٨.

(٣) المقرئ: نفع الطيب، ٣/٣٧٥.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

قعدتُ من فوقِ عَزْدٍ لابنِ فرناسٍ فخلتُهُ نائناً شبراً على راسي<sup>(١)</sup>

وكان عباس بن فرناس، كما يظهر في كثير من الروايات، جشعاً كثير الحسد لأقرانه ومعاصريه، حريصاً على أن يستأثر بكل خير دونهم، ومما يدلّ على ذلك، أنه عندما حضر مجلس محمود بن أبي جميل في شذونة ولاحظ إعجاب الحضور بغناء ابن زرياب، مدّ يده إلى العود فأخذه وغنى ونال جائزة الوالي دون غيره<sup>(٢)</sup>.

وفي أبياته التي غنى بها للأمير محمد بن عبدالرحمن يتوسّل بها ليصبح مغنياً عنده، نجد ابن فرناس يحاول الحطّ من شأن المغنّين الذين سبقوه للغناء، فعندما جاءت نوبته غنى بالأبيات التالية<sup>(٣)</sup>:

والعلم فجرٌ نورهُ مشهورٌ	الجهل ليلٌ ليس فيه نور
عني ويصدئ سَمْعَكَ المكسورُ	يا ابن الخلائف كم تسترّ قاعدٌ
مولاك من إصلاحه تيسير	وقد استبنت فسادَ ذاك وفي دعا
قد حاطها الأحكام والتجبير	وأمرٌ ملكك كلّها موزونةٌ
يسقُطُ عليك اللؤلؤُ المنثورُ	فأصيخُ لأصلٍ إن هزرتَ فروعهُ

ولا أستبعد أن يكون السببُ الذي من أجله لم يهتَرّ الأمير لهذه الأبيات<sup>(٤)</sup> أنها تنطوي على نيل من المغنّين الآخرين، وتعكس غروراً وزهواً وحسداً في شخصية ابن فرناس.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٨/١٦.

(٢) انظر هذه الحكاية في: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩؛ المقرئ: نفع الطيب، ١٣٣/٣.

(٣) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٠.

(٤) نفسه.



كذلك يظهر هذا الحسد والحرص من خلال مطالبة ابن فرناس للأمير محمد بإطلاع على الدفتر الفلكي الذي كان عبدالله بن الشمر منجم الأمير عبدالرحمن الأوسط يستعين به<sup>(١)</sup>.

أما الجشع والحرص على كسب المال من جميع الوجوه فيظهر جلياً في كثير من أخبار ابن فرناس، فقد كان يرفع جميع صناعاته واختراعاته للأمراء لكي ينال جوائزهم، وكان يغني للأمراء لقاء مكافآت يحصل عليها، وكان ينشد شعره للتكسب، بل كان يكافأ حتى على انشغاله بالعلم، كما حدث عندما فسّر كتاب العروض للخليل ابن أحمد، فقد وصله الأمير بثلاثمائة دينار وكساه<sup>(٢)</sup>. وكان عباس بن فرناس يتفنن في استدرار إعجاب الأمير محمد ومكافآته، فقد كتب له مرّة أربعة أبيات بالذهب على تقاحة محجولة ورفع بها إلى الأمير، ومطلع الأبيات:

تقاحة مصفرة البعض      بخوفها من ألم العض

فاستلمح الأمير التقاحة، واستحسن الأبيات، وأمر أن يُغنى بها، وأمر لعباس بأربعمائة دينار بعددها صلةً، وقال: لو زادنا لزدناه<sup>(٣)</sup>.

ويظهر أن الأمير محمداً كان يدرك حبّ عباس للمال، فكان يكافئه حتى على العمل الذي لا ينجح بأدائه، فعندما غناه الأبيات التي مطلعها:

الجهل ليلٌ ليس فيه نور      والعلم فجرٌ نوره مشهور

ولم يهتز الأمير بها، ولا للمحاولة التي تلتها، ومع ذلك أمر له بجائزة<sup>(١)</sup>. وعندما نال جائزة محمود بن أبي جميل والي شذونه، وكانت الجائزة القبة التي صنعها الوالي للاحتفال، باع ابن فرناس تلك القبة بخمسائة دينار<sup>(٢)</sup> لعبدالملك بن جهور<sup>(٣)</sup>.

(١) نفسه، ٢٨٢-٢٨١.

(٢) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤.

ويسوق لنا محمد عبدالله عنان في كتابه "تراجم إسلامية شرقية وأندلسية"<sup>(٤)</sup> قصة قصة محاكمة عباس بن فرناس بتهمة الزندقة والكفر. ويذكر بأنه نقل هذه القصة من قطعة مخطوطة من تاريخ ابن حيان حصل على صورتها من مكتبة جامع القرويين بفاس. وجاء في هذه القصة "أن ابن فرناس قد اعتقل وقدم للمحاكمة أمام قاضي قرطبة سليمان بن أسود الغافقي"<sup>(٥)</sup>، وعقدت المحاكمة بالمسجد الجامع، وهرع الناس لشهودها، واجتمع حشدٌ من العامة للشهود عليه، ومن أقوال الشهود، قول أحدهم: سمعت ابن فرناس يقول "مفاعيل مفاعيل" ومنهم من قال "رأيت الدم تفور من قناة داره ليلة ينير" إلى غير ذلك مما يصفه ابن حيان "بأحموقات من غتراء شهود عليه ذوي جهل وقدامة" وكان القاضي سليمان بن أسود، بالرغم من صرامته، ذهنًا مستتيرًا، فلم ترقه تلك الترهات، ولم يجد فيها طائلاً فشاور جماعة الفقهاء، فيما قيد منها، ولم يجد سبيلاً إلى مؤاخذه ابن فرناس، وقضى ببراءته وإطلاق سراحه.

ولئن كان عباس بن فرناس قد نجا من تحامل الناس عليه ومحاولة زجه بالسجن أو الحكم عليه بالإعدام بتهمة الزندقة والكفر، إلا أن هذه التهمة أثرت في مدى عناية

---

(١) نفسه، ص ٢٧٩-٢٨١.

(٢) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٩.

(٣) هو أبو مروان عبدالملك بن جهور، وزير جليل أديب شاعر كاتب، في أيام عبدالرحمن الناصر، وكان مقرباً منه، إذ ولاه الخليفة الخزانة سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م. ثم ولاه الوزارة (انظر ترجمته في: الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٨٢، الضبي: بغية الملتبس، ص ٢٧٦؛ ابن الأبار: الحلة السرياء، ١/٢٤٣؛ وأورد له الكتاني في التشبيهات عدة مقطوعات شعرية.

(٤) عنان: تراجم إسلامية، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٥) أبو أيوب سليمان بن أسود بن يعيش بن سليمان الغافقي من أهل قرطبة، استقضاه الأمير محمد بن عبدالرحمن بقرطبة مرتين، وتوفي عن خمس وتسعين سنة (انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ١/١٨٥؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب، ١/١٥١؛ النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقي: تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ص ٥٦.

المؤرخين بسيرته، ويبدو أن هذه التهمة كانت تقف وراء إهمال كثير من المؤرخين، وربما بصورة متعمدة، التعريف به والتعرض لسيرته، فتجاوزت عنه كثير من المصادر الأندلسية والمشرقية التي كان من شأنها أن تترجم لأمثاله من العلماء الأفاضل، وربما يستغرب المرء عندما لا يجد لابن فرناس ترجمة في كتاب طبقات الأمم لصاعد، أو في كتاب تاريخ الحكماء للقفطي، أو كتاب المطرب لابن دحية، أو كتاب البديع في وصف الربيع للحميري، أو غير ذلك من المصادر الأدبية والتاريخية الأندلسية، وذلك على الرغم من كثرة الرواة الذين تناقلوا شعره وأخباره ممن نفع على أسمائهم في ما تبقى من المصادر التي عرّفت به.

أما وفاة عباس فقد ذكرها ابن سعيد الأندلسي في كتاب "المغرب في حلى المغرب" قائلاً "توفي في أعقاب أيام محمد بن عبدالرحمن سنة أربع وسبعين ومائتين"(\*)<sup>(١)</sup>.

---

\* ٨٨٧م.

(١) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.

- ٢ - شعره

على الرغم مما اشتهر به عباس بن فرناس من تجارب وابتكارات علمية، وعلى الرغم من استناد شهرته إلى تجربته في الطيران، إلا أن الجانب الذي غلب عليه هو نظم الشعر. ومع أن الدكتور إحسان عباس، في كتابه "تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة" يستشهد بعباس بن فرناس على الشعراء الذين يقع الشعر لديهم موقعاً ثانوياً<sup>(١)</sup>، إلا أن هنالك أدلة تشير إلى أن الشعر كان الغالب على اهتمامات عباس بن فرناس؛ فقد وصفه الزبيدي بقوله "وكان الشعر أغلب أدواته عليه"<sup>(٢)</sup>. وقد تبين من استعراضنا لمخترعات ابن فرناس أنه قرن بين هذه المخترعات وبين الشعر، إذ نجده يصف كل واحد منها تقريباً بأبيات يرفعها إلى الأمراء الأمويين.

وكان ابن فرناس من الشهرة في نظم الشعر إلى الدرجة التي جعلته شاعر بلاط متميزاً لدى ثلاثة من أمراء بني أمية في الأندلس، هم على التوالي: الحكم بن هشام الرضي (ت ٢٠٦هـ/٨٢٢م) وابنه عبدالرحمن الأوسط (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م) ومحمد بن عبدالرحمن (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)<sup>(٣)</sup>.

ولئن كان ابن فرناس شاعراً متكسباً في بلاط هؤلاء الأمراء إلا أنه كان شاعرهم الأول، ولولا تفوقه في فنّ المديح لما استطاع أن يبلغ ما بلغه من مكانة مرموقة لديهم، ولا فتحت له أبواب مجالسهم على التعاقب، ولذلك وصفه ابن حيان في المقتبس بأنه كان عند الأمير محمد بن عبدالرحمن "شاعره البديع"<sup>(٤)</sup> كما جعله بين

---

(١) عباس، د. إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة، طبعة ثانية منقحة

ومزودة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩ ص ١٥٣.

(٢) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨.

(٣) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ١/٣٣٣.

(٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق د. محمود مكي)، ص ٢٢٧-٢٢٨.

شعراء ذلك البلاط "فحلهم الخنذيذ"<sup>(١)</sup>، ووصفه أيضاً بأنه "كبير الجماعة"<sup>(٢)</sup> وذلك في سياق الحديث عن شعراء الأمير محمد بن عبدالرحمن، مما يوحي بأنه يقصد جماعة الشعراء.

وقد شهد بشهرة عباس بن فرناس وتفوقه في نظم الشعر غير ما مؤرخ من مؤرخي الأدب، فقد قال فيه حرقوص إنه "كان شاعراً مفلحاً وفحلاً مجوداً مطبوعاً مقتدرًا كثير الإبداع حسن التوليد مليح المعاني بعيد الغور رقيق الذهن..."<sup>(٣)</sup> وأورد له في كتابه "طبقات الشعراء في الأندلس" - الذي لم يكتب له الوصول إلينا - قصائد مطوّلة ومقطعات.<sup>(٤)</sup> ووصفه صاحب "جذوة المقتبس" وصاحب "بغية الملتمس" بأنه "شاعرٌ أديب مشهور"<sup>(٥)</sup>. ووصفه الحسن بن محمد بن مفرج بالحكيم الشاعر<sup>(٦)</sup>، وقال عنه ابن سعيد الأندلسي في كتاب المغرب بأنه "كان شاعراً مفلحاً"<sup>(٧)</sup>، وقال عند الفيروز آبادي في "البلغة": "وله شعرٌ فائق"<sup>(٨)</sup>. غير أن الذي وصلنا من شعر عباس ابن فرناس قليل بالقياس إلى الكثرة التي توحى بها الإشارات السالفة، وبالقياس إلى طول المدّة التي قضاها في بلاط الأمراء الأمويين ينشدهم الشعر والامداح ويؤلف لهم الأغاني والأوصاف.

وعلى الرغم من كثرة الرواة الذين رووا شعره، وكثرة المصادر التي أوردت أخباره، فإنّ أحداً لم يذكر أنّ له ديوان شعر. وهناك بعض المصادر التي عرّفت بابن فرناس

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه، ص ٣٣٨.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٧/١٦.

(٤) نفسه، ٦٦٨/١٦.

(٥) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٨؛ الضبّي: بغية الملتمس، ص ٤٣١.

(٦) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق د. محمود مكّي)، ص ٢٨٣.

(٧) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

(٨) الفيروزآبادي: البلغة، ص ١١٩.

ولم يكتب لها الوصول إلينا، ولو قدر لهذه الكتب أن تصل إلينا فرمّا كشفت عن جوانب أخرى في شعر عباس بن فرناس وسيرته. ومن هذه المصادر الكتاب الذي ألفه معاوية بن هشام الشيبيني<sup>(١)</sup> في تاريخ دولة الأمويين، وقد نقل عنه ابن حيان في كتاب المقتبس<sup>(٢)</sup> بعض أخبار عباس بن فرناس، لكنها جاءت مبتورة بسبب تلف في النسخ التي اعتمد عليه المحقق. ومنها كتاب الرازي<sup>(٣)</sup> في أخبار ملوك الأندلس، الذي اعتمد عليه ابن حيان في ترجمته لابن فرناس<sup>(٤)</sup>، ومنها كتاب طبقات الشعراء في الأندلس لحرقوص<sup>(٥)</sup>، الذي نقل عنه صلاح الدين الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات<sup>(٦)</sup>، ومنها: كتاب "أخبار شعراء الأندلس" لأبي بكر عبادة بن ماء السماء<sup>(٧)</sup>، الذي نقل عنه ابن حيان في المقتبس بعض أخبار ابن فرناس<sup>(٨)</sup>، ومنها: كتاب

---

(١) توفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م (انظر: ابن الأثير، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة ٢ج، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ٢/٦٩٢).

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازي، مؤرخ قرطبي، وكان شاعراً، له كتاب في أخبار ملوك الأندلس وآخر في انتساب مشاهير أهل الأندلس (ت ٣٤٤هـ/٩٥٤م) (انظر: الحميدي: جذوة المقتبس، ١٠٤؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ١/٤٢؛ القفطي: إنباه الرواة، ١/١٧١).

(٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٥٦.

(٥) أبو سعيد عثمان بن سعيد الكنائي، وقد عرّفنا به في حاشية سابقة.

(٦) الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٧.

(٧) عرّفنا به في حاشية سابقة.

(٨) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٧٩.

الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال للحسن بن محمد بن مفرج<sup>(١)</sup>، وقد نقل عنه ابن حيان في المقتبس<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر الزبيدي في "طبقات النحويين واللغويين" أسماء عدة من الرواة الذين رووا أخبار عباس بن فرناس وأشعاره<sup>(٣)</sup>.

ومع ذلك فإنّ ما وصلنا من شعر لابن فرناس - على قلة هذا الشعر - يكشف عن شاعر له باع طويلة وقدم راسخة في نظم الشعر، وأن خصائص هذا الشعر لا تختلف كثيراً عن تلك التي ذكرها حرقوص من الطبع والإبداع وحسن التوليد وملاحة المعاني وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

أما موضوعات شعر ابن فرناس، فإنّ القصائد والمقطوعات التي وصلتنا تعطينا صورة عن هذه الموضوعات، ومعظمها صادر عن مجالات اهتمام عباس بن فرناس، كالعمل في بلاط الأمراء والانشغال بالموسيقى والغناء، واعتناؤه بالفلك والتنجيم والحكمة والفلسفة، وميله إلى الابتكار والتجريب والصناعة، فضلاً عن معالجة خصوماته مع الشعراء والفقهاء والعلماء من معاصريه، إلى جانب قوله في الغزل والوصف.

وقد يجتمع أكثر من غرض في المقطوعة أو القصيدة الواحدة، ونجد المدح - على وجه الخصوص - يخالط معظم الأغراض، فهو متصل بوصف الانتصارات التي كان يحققها الأمير، ومتصل بوصف القصور التي كان يشيدها الأمير ويعتني بها، وبوصف مجالس الغناء والموسيقى التي كانت تتعقد بحضور الأمير، وبوصف الآلات التي كان يصنعها الشاعر إما بطلب من الأمير وإما لأنها ترفع إليه في نهاية

---

(١) أبو بكر الحسن بن محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري (ت بعد

٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، (ابن بشكوال: كتاب الصلة، ١/١٣٦-١٣٧).

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٧.

المطاف. ولا غرابة في ذلك فهو شاعر بلاط يخدم الأمراء بشعره ويتكسب بذلك الشعر، ولذلك نجد المدح في شعره يحتل المرتبة الأولى في أغراضه، ونجد ظلال المديح ضافية على بقية أغراضه، ولا تخلو قصيدة مدح من ارتباط بمناسبة من المناسبات التاريخية أو الاجتماعية أو غيرها مما يعرض في حياة الأمير. فمن هذه الأمداح ما يتصل بانتصارات الممدوح، وكانت القصائد الطويلة في شعره هي التي تصف انتصارات الأمير محمد بن عبدالرحمن وتهنئه بها؛ فعندما انتصر هذا الأمير على أهل طليطلة والنصارى معاً في وقعة وادي سليط سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م هنأته الخطباء وامتدحته الشعراء<sup>(١)</sup>، وكان من ذلك قصيدة قالها عباس بن فرناس مطلعها:

ومختلف الأصوات مؤتلف الزحفٍ لهوم الفلا عبل القنابلٍ ملتفٍ

وقد وصف ابن فرناس، في هذه القصيدة، الجيش الإسلامي والمعركة التي خاضها وما تحقق على أيدي المسلمين بها، مما يجعل من هذه القصيدة "وثيقة تاريخية"، ولذلك نجد ابن عبد ربه وابن عذاري يشيران إلى المعركة وإلى قصيدة عباس بن فرناس فيها بالقول: "وشعره يكفيننا من صفتها"<sup>(٢)</sup>. وفي هذه القصيدة، بالإضافة إلى وصف المعركة، مدحٌ للأمير محمد في مثل قوله:

سمي ختام الأنبياء محمدٍ إذا وُصفَ الأملأكُ جَلَّ عن الوصف

وعندما هاجم الأمير محمد طليطلة سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م، وحارب أهلها وهدم قنطرتها، قال عباس بن فرناس يغبطه بما تهياً له، في شعر مدحه به<sup>(٣)</sup>:

يا ابن الخلائف يا محمد يا من سيفُهُ في راحة النصرِ

(١) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٩٥-٢٩٨.

(٢) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد الفريد ٨ ج، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، ١٣٥٩/١٩٤٠م، ٥/٢٢٠؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ١١١/٢.

(٣) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٠٥-٣٠٦.



ما إن تقوم بحرّ بأسك في الـ دنيا محصّنةً من الدهرِ  
أضحت طليطلةً معطلّةً من أهلها في قبضة الصقرِ  
تُرَكَّتْ بلا أهل تؤهلها مهجورة الأكناف كالقبرِ  
ما كان يُبقي الله قنطرة أضحت سبيل كتائب الكُفرِ

وفي سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م حقق الأمير محمد سلسلة انتصارات في طليطلة وطلّيبيرة<sup>(١)</sup> وبنبلونة<sup>(٢)</sup>، ووافقت عودته من هذه الانتصارات حلول عيد الفطر<sup>(٣)</sup>، فقال عباس بن فرناس يهنئه بالانتصارات وبحلول العيد ويمدحه في قصيدة مطلعها<sup>(٤)</sup>:

إن القفول الذي أوفى بعيدين مكرّمين على الدنيا عزيزين  
قدوم أكرم أهل الأرض قاطبةً قدوم فطرٍ، فكانا خيرَ عيدين  
....الخ.

ولما كانت هذه القصيدة من روائع شعر ابن فرناس، فقد كان لها صدىً في شعر غيره، ففي سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م انتصر الأمير عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) على ابن مستنة<sup>(٥)</sup>، وجاء هذا النصر موافقاً لعيد الأضحى لذلك العام،

(١) بالإسبانية Talavera، مدينة قريبة من طليطلة على بعد سبعين ميلاً (الحميري: الروض المعطار، ص ٢٩٥).

(٢) بالإسبانية Pamplona تبعد عن سرقسطة ١٢٥ ميلاً (الحميري: الروض المعطار، ص ١٠٤).

(٣) ابن حيّان: المقتبس (تحقيق د: محمود مكي)، ص ٣٢٩-٣٣٩.

(٤) نفسه، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٥) سعيد بن مستنة كان حليفاً لابن حفصون الذي ثار في جنوب الأندلس، وكانت هزيمة ابن مستنة في حصون رية ويشتر ولكّ (انظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، ٢/١٤٤).

فقال شاعره عبيدالله بن يحيى بن إدريس<sup>(١)</sup> قصيدة بهذه المناسبة، عارض بها قصيدة ابن فرناس مستخدماً الوزن والقافية وكثيراً من المعاني التي استخدمها ابن فرناس في قصيدته، ومن أبيات قصيدة عبيدالله هذا قوله<sup>(٢)</sup>:

هذا النجاحُ أمامَ المسلمينَ وذا      هذا القفولُ الذي أوفى بعيدين

ويعلق صاحب المقتبس على هذه القصيدة بقوله<sup>(٣)</sup> "وعنى بقوله "هذا النجاح" شعر عباس بن فرناس في قفول الأمير محمد عن طليطلة موافقاً للعيد حيث يقول: إن القفول الذي أوفى بعيدين".

وفي سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م تغلب الأمير محمد على ثورة عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقي في قرطبة في حصن يقال له حصن الحنش فقال عباس بن فرناس قصيدة يمدح بها الأمير مطلعها<sup>(٤)</sup>:

يا ابن الخلائف من مروان انجباك الـ      بيضُ الجهاضيِّمُ والغرُّ اللهاميِّمُ

إلى إن يقول:

لله من ذلت الدنيا لصولته      ومَنْ له الدهرُ أعلى الفتح مقسومُ

ولعباس بن فرناس في تهنئة الأمير محمد بتوليته إمارة الأندلس وتعزيتته بوفاء والده، من قصيدة له<sup>(١)</sup>:

---

(١) أبو عثمان عبيدالله بن يحيى بن إدريس من أهل قرطبة، كان الشعر أشهر أدواته لم يتقدمه فيه أحدٌ في وقته، ولي الوزارة، وتوفي سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م (انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ٢٥١/١-٢٥٢، الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٦٩).

(٢) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: الأب ملشور م. انطونية، باريس، ١٩٣٧، ص ١٤٤.

(٣) نفسه.

(٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٥٧-٣٥٨.

ما غابت الشمس حتى أشرق القمرُ      محمدٌ فارتضاه الله والبشرُ  
يا ليلةً أسفرت قبل الصباح عن الـ      مهديّ يفديك مني السمعُ والبصرُ  
لتطبقن على الدنيا خلافتُه      سماءَ جودٍ لها ماءُ اللهى مطرُ  
ويهلكُ الشركَ في أقصى مداخله      حتى يغيب فلا يُدرى له أثرُ  
بذاك تخبرنا غرّ النجوم كما      أوحى إليها بذاك الشمسُ والقمرُ

ومثلما ارتبط المدح عند عباس بن فرناس بوصف الانتصارات والتهنئة بها وبالمناسبات المختلفة، فكذلك ارتبط بوصف القصور والمباني التي شادها الأمراء فعندما بنى الأمير محمد قصرًا في رصافة قرطبة واعتنى بتضخيم مبانيه وزراعة ما حوله، استدعى أقوال شعرائه في وصفها، وتهنئته بما حصل له منها، وكان من بينهم عباس بن فرناس الذي أنشده قصيدةً رائيةً ذكرت المصادر أنها أحسن ما قيل في تلك المناسبة<sup>(٢)</sup>. ومنها في الإشارة إلى القصر ومدح الأمير:

ورائهُ آباءٌ تولّوا خلائِفِ      بهاليلِ املاكٍ خضارمةٍ زُهرِ  
أبى الله إلا يُتمّ بناءه الـ      رفيعَ الذي تمّت به غابَةُ الشكرِ  
سميُّ النبيِّ المصطفى وحميمُه      وخاتمِ مسطورِ النبوةِ في الذِكرِ

وعندما زاد الأمير محمد بن عبدالرحمن في مسجد قرطبة وعني بزخرفة ذلك المسجد وصلى فيه ومثل الشعراء بين يديه بعد خروجه إلى قصره<sup>(٣)</sup>، أنشده عباس ابن فرناس مادحاً:

محمدٌ خيرٌ مسترعىٍّ ومؤتمنٌ      للمسلمين جميعاً حيثما كانوا  
بنى لهم مسجداً جلت عجائبه      لولا السماء لما ضاهاه بنيان

(١) نفسه: ص ١٢٤.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) نفسه: ص ٢٢٢-٢٢٣.

كذا يكونُ الإمام المرتضى أبداً أقوى صباباته تقوى وإيمانُ

والمقطوعات التي كان ينظمها عباس بن فرناس لكي تلحنها الجوارى وتغني بها للأمير محمد لم تخلُ من مدح للأمير، فمن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

تحفظُ من الهجران إن كنت تقدرُ      يموتُ الفتى من حبه حين يُهَجَرُ  
فأما إذا ما بان عنه حبيبُه      فلا شك فيه ذلك اليومَ يُفَبَّرُ  
رأيتُ أمير المؤمنين محمداً      وفي وجهه بذرّ المحبة يُبَصَّرُ  
همامٌ كأنَّ الشمسَ تلقي شُعاعها      على الخلق منه حين يبدو ويَظَهَرُ

ومن هذا الضرب من الشعر أربعة أبيات كتبها بالذهب على تفاحة محجولة رفع بها إلى الأمير، وقال في آخر أبياتها<sup>(٢)</sup>:

محمداً أكرمُ مستخلف      من خلفاء الله في الأرض

وفي ما تبقى لنا من شعر عباس بن فرناس لا يقع الباحث على قصيدة واحدة مخصصة للمدح دون أن تخالطها أغراض أخرى من شعر المناسبات.

وعلى الرغم من خدمة عباس بن فرناس في بلاط ثلاثة أمراء متعاقبين من أمراء بني أمية في الأندلس إلا أن ما وصلنا من شعره في المدح يكاد يكون مقتصرًا على ثالث هؤلاء الأمراء وهو الأمير محمد بن عبدالرحمن.

والناظر في الأوصاف التي أضفاها عباس بن فرناس على هذا الأمير يجدها تتسم بالمبالغة التي تكاد تميّز هذا الأمير عن سائر الخلق؛ فالشاعر يحرص على

(١) نفسه: ص ٢٨٦.

(٢) نفسه: ص ٢٨٤-٢٨٥.

تسميته "خليفة" وابن الخلائف" وأمير المؤمنين" علماً بأن الخلافة الأموية في الأندلس لم تعلن بصورة رسمية إلا في عهد عبدالرحمن الناصر في سنة ٩٢٨هـ/٣١٦م، ويصفه لذلك بقوله:

محمّدٌ أكرمٌ مستخلفٌ من خلفاء الله في الأرض

ويقول إنه "إذا وُصفَ الأملاكُ جَلَّ عن الوصف" وإنه "أكرم من في الأرض قاطبة"، ويقول فيه أيضاً:

لله من ذلت الدنيا لصواته ومن له الدهر أعلى الفتح مقسومٌ

وهو:

محمّدٌ خيرٌ مسترعىً ومؤتمنٍ للمسلمين جميعاً حيثما كانوا

بنى لهم مسجداً جلت عجائبه لولا السماء لما ضاهاه بنيانٌ

وفي وصف الشاعر للأمير محمد على أنه خليفة وأنه ابن الخلائف وأنه أمير المؤمنين وأنه أكرم مستخلف في الأرض وأنه أفضل ملوك الأرض قاطبة، إشارة إلى رفض الشاعر للخلافة العباسية في المشرق لأنها قامت على أنقاض الخلافة الأموية في دمشق، وكأنما يريد أن يقول بأن الأمويين هم أحق الناس بالخلافة وأنهم أهل لها.

ومن الواضح أيضاً أن الشاعر قد أفاد من اسم الممدوح "محمد" ليقرّنه باسم النبي عليه السلام، فهو "سمي ختام الأنبياء محمد".

سمي النبي المصطفى وحميمه وخاتم مسطور النبوة في الذكر

وهو :

محمدٌ خيرٌ مسترعىً ومؤتمنٍ، وهو "محمدٌ" أكرمٌ مُستخلفٌ"

وفي تمييزه للأمير محمد عن جميع الخلق "وقرنه بالنبي محمد ﷺ وجعله أفضل ملوك الأرض، وجعله مؤتمناً على المسلمين "أينما كانوا" وأنه "أكرم مستخلف من خلفاء الله في الأرض" فإن عباس بن فرناس يبدو وكأنه يفضل الأمير محمداً على جميع الخلق ولا يستثني من ذلك أحداً حتى الخلفاء الراشدين والصحابة وغيرهم، بل إنه حين يقرن اسمه باسم النبي ﷺ يكاد يجعله مع النبي في منزلة واحدة، وفي بعض الأبيات يصفه بصفات لا تخلو من إلماح إلى تجليها وتمثلها في النبي محمد ﷺ، كما في قوله:

ما غابت الشمس حتى أشرق القمرُ      محمدٌ فارتضاه الله والبشرُ  
يا ليلةً أسفرت قبل الصباح عن الـ      مهديٌ يفديك مني السمعُ والبصرُ

وقوله:

رأيت أمير المؤمنين محمداً      وفي وجهه بذرُ المجرّة يبصرُ  
هماً كأن الشمس تُلقي شعاعها      على الخلق منه حين يبدو ويظهرُ

وقوله:

محمدٌ أكرمٌ مستخلفٍ      من خلفاء الله في الأرض

ففي هذه الأبيات كثيرٌ من الإشارات التي تشكك في نية عباس بن فرناس. وربما كانت هذه الأبيات ومثيلاتها - وربما نظيراتها لها لم تصلنا- من بين الأسباب التي دعت الفقهاء إلى اتهام عباس بن فرناس بالزندقة.

وبصرف النظر عن نيّة الشاعر، فإنّ هذه الإيحائية في شعره دليل على المستوى الفنّي الرفيع الذي بلغه شعر ابن فرناس.

ومثلما ارتبطت موضوعات الشعر عند عباس بن فرناس بخدمته لأمرأ بني أمية في الأندلس، فكذلك ارتبطت بجوانب أخرى من سيرته ومجالات اهتمامه، لا سيما ما انكبّ عليه من صناعات وما انصرف إليه من ابتكارات؛ فقد كان كلما صنع شيئاً جديداً رفعه للأمير وشفعه بأبيات من الشعر في صفة ذلك المصنوع وفائدته ومجال استخدامه، فعندما صنع الآلة المسماة "المنقانة" لمعرفة الأوقات إلى الأمير محمد ونقش فيها الأبيات التالية<sup>(١)</sup>:

ألا إنني للدين خيرُ أداة      إذا غاب عنكم وقتُ كلِّ صلاة  
ولم تُرَ شمسٌ بالنهار ولم تُنر      كواكبُ ليلٍ حالِكِ الظلمات  
بيُمن أمير المسلمين محمدٍ      تجلّت عن الأوقات كلُّ صلاة

وكان قبل ذلك صنع الآلة المسماة "ذات الحلق" بطلب من الأمير عبدالرحمن الأوسط، ورفعها إلى الأمير مع الأبيات التالية<sup>(٢)</sup>:

قد تمّ ما حملتني من آلةٍ      أعياء الفلاسفة الجهابذِ دوني  
لو كان بطليموس ألهم صنعةً      لم يثقلُ بجدول القانون  
فإذا رأته الشمسُ في آفاقها      بعثت إليه بنورها الموزون  
ومنازل القمر التي حجبت معاً      دون العيون بكلِّ طالع حين  
يبدون فيها بالنهار كما بدت      بالليل في ظلماتهن الجون

(١) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) عنان: تراجم إسلامية، ص ٢٦٧.

وكان لانشغال عباس بن فرناس بالموسيقى والغناء أثرٌ في أغراض شعره، فبعض شعره مقطوعات كان ينظمها لكي تلحن وتُغنى، وبعضه كان وصفاً لمجالس الغناء، وبعضه تذييلٌ على شعر لغيره مما كان يغنى في مجالس الطرب، وبعضه نقدٌ لغناء غيره من المغنّين الأندلسيين وتوسُّلٌ إلى الأمراء لكي يأذنوا له أن يغني بين أيديهم. وقد بيّنا ذلك عند حديثنا عن انشغال ابن فرناس بالغناء والموسيقى.

كما كان لانشغاله بالفلك والتنجيم أثرٌ في أغراض شعره. كالذي يظهر في القصيدة التي يخاطب بها الأمير محمداً ويطلب منه أن يعيره دفتر الجداول الفلكية الذي وعده به<sup>(١)</sup>، وغير ذلك.

وهذا الشعر المتصل بالصناعات والابتكارات والعلوم أقل منزلة من حيث مستواه الفني من بقية الأغراض، وهو أقرب إلى النظم التعليمي منه إلى الشعر، ولكنه من جهة أخرى يحتفظ بقيمة علمية وتاريخية كبيرة، لأنه يصوّر جانباً مهماً من جوانب الحضارة الأندلسية، ويسلط الضوء على بعض النشاطات الإبداعية التي ندر أن نقع على معلومات شافية عنها في المصادر المختلفة. ولعلّ مثل هذا الشعر عند ابن فرناس وغيره يشكل - بعد جمع المتفرّق منه - مصدراً من مصادر التعرف على الحضارة الأندلسية.

ومن أبرز أغراض الشعر عند ابن فرناس غرض الوصف، وهو من الأغراض التي تجلت فيه براعته الفنية فضلاً عن إلقائه الضوء على كثير من جوانب الحياة الأندلسية من خلال قصائد الوصف؛ ففي القصيدة التي قالها ابن فرناس في وصف القصر الذي أنشأه الأمير محمد بن عبدالرحمن في منية الرصافة نقلني ابن فرناس مصوراً بارعاً يحسن فنّ التصوير واستخدام الألوان والإكثار من التنويع بين الإضاءات والظلال، ونجده يحرص على نقل تفاصيل الصورة وعرضها نابضة

---

(١) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨١-٢٨٢.



بالحياة قادرة على تحريك القارئ وإثارة أحاسيسه، وذلك من خلال الاتكاء على الأساليب البيانية المختلفة من تشخيص وتشبيه واستعارة، ومن أبيات هذه القصيدة قوله<sup>(١)</sup>:

وتلحفها من نورها في سنا الغرِّ	لها الغُرْفُ البيضُ التي يضحكُ الضحى
على عمدٍ تعتدُّ في جوهر البدرِ	حنايا كأمثال الأهلَّةِ رُكِّبت
على كل مسنونٍ مقيض من السدرِ	كأنَّ من الياقوت قيست رؤوسها
نتوءُ الذرى أخفى شخوصاً من الذرِّ	كأن قصور الأرض بعد تمامه
تتَّزه بالأطيَّار والوحش والزهر...	وتنتشر الأبصار منها إلى مدى الـ
تضيء بلا شمس عليها ولا بدرِ	نؤوم الضحى ضافي العلى سجسج السنا

وعندما يصل إلى وصف الحدائق المحيطة بالقصر يقول<sup>(٢)</sup>:

وأنهارها البيضُ التي تحتها تجري	ويا حبذا أنباتها الخضِرُ حولها
موائسٌ فيها من مزاولَةِ الوفرِ	ترى الباسقاتِ فروعَهَا
من الذهب الناري عراجينَ من تمرِ	كأن صياغاً صاغ فوق غصونها
مصوغ الحلى شكلاً وفي الجوهر النضرِ	تبدلين حالات ثلاثاً لهنَّ في
يعود الى العقبان بعد جنى البُسْرِ	نشث لؤلؤاً ثم استحالت زمرداً
تضرع مشتاقٍ إلى عاشق الكبرِ	وقد يُشْتَهَى منها شرابُ الدُّمن
خدود عذارى في مقانعها الخضِرِ	ومن أرجاتٍ في الغصون كأنها

وهذا المزج بين وصف الطبيعة وبين محاسن المرأة هو من أبرز سمات الوصف عند الأندلسيين، وتجلي هذه السمة في شعر وصف الطبيعة عند عباس

(١) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٢٨-٢٣٤، الكتاني: التشبيهات، ص ٧٠.

(٢) أخطأ الدكتور سعدي إسماعيل شلبي في ظنه أن ابن فرناس يصف بهذه الأبيات "القبة التي صنعها في داره على شاكلة القبة السماوية" (انظر: شلبي: الأصول الفنية للشعر الأندلسي، ص ٢٢٨).

ابن فرناس يجعله من أوائل الشعراء الأندلسيين الذين خاضوا في موضوع وصف الطبيعة وشاركوا في تثبيت أركانه وصياغة ملامحه.

ويمضي عباس بن فرناس بعد ذلك إلى وصف الطيور والحيوانات التي اشتملت عليها حديقة القصر فيقول:

يغرد فيها كلّ مختضب الشوى	موشّى القرا قاني الطلى أخضر الصدر
الى كلّ سلتاء أضاعت خضابها	مدبّجة الكشحين والبطن والظهر
إذا ما استهلّت في شجيّ غنائها	ينسيّك ترجاع اليراع بلا زمر
وما شئت من هفافة قلمية الـ	غناء <sup>(١)</sup> إلى نايّة النغم والنبر
وحابسة في ذقنها درهمين ما	يزولان فيما تشتريه وما تشري
قد اشتملت في يلمق <sup>(٢)</sup> وأعارها	هناك غرابُ الماء خفيّة للأجر

والناظر في هذه الأبيات يجد أن عباس بن فرناس قد أخذ بأيدينا وتجوّل بنا في حديقة عامرة بالطيور من مختلف الأنواع والأحجام نوات الألوان البديعة الزاهية والتغريد الشجيّ. وتشكل هذه الأبيات مع الأبيات التي تقدمتها في وصف حديقة القصر لوحة طبيعة متكاملة ومفعمة بالحركة والحيوية. وفيها وصفٌ لكثير من عناصر الطبيعة التي يزيد بعضها في جمال بعض، ونحسّ فيها خصوصية البيئة الأندلسية وصدى هذه الخصوصية في نفوس الأندلسيين ومجال عنايتهم وأدبهم.

---

(١) نسبة إلى الجارية قلم "إحدى جواري الأمير عبدالرحمن الأوسط، وكانت بارعة في الغناء (المقري: نفع الطيب، ١٤٠/٣).

(٢) اليلمق: القباء (لسان العرب).

(٣) الثمّرة: طائر أصغر من العصفور والجمع ثمر (لسان العرب).

إن شخصية قصيدة وصف الطبيعة في الأندلس واضحة المعالم في قصيدة عباس بن فرناس، مما يدل على أنّ هذا الغرض من أغراض الشعر قد عُرف عند الأندلسيين قبل ابن فرناس، وربما تكون معالمه قد اتضحت وشخصيته قد اكتملت في زمن ابن فرناس وعلى يديه وأيدي معاصريه من شعراء الأندلس، ولعلّ هذا هو السبب الذي جعل غير شاعر من الشعراء الأندلسيين اللاحقين يحتذون حذو ابن فرناس في هذه القصيدة؛ فهذا أبو الحسن عليّ بن حصن الإشبيلي<sup>(١)</sup>، من شعراء المعتضد بن عباد ملك إشبيلية (ت ٤٦١هـ/١٠٦٨م)، يقول في وصف فرخ حمام<sup>(٢)</sup>:

وما راعني إلا ابنُ ورقاءَ هاتفاً	على فنن بين الجزيرة والنهر
مفتقّ طوقٍ لازورديّ ككل	موشى الظلّي أحوى القوادم والظهر
ادار على الياقوت أجفان لؤلؤ	وصاغ من العقيان طوقاً على الثغر
حديّدُ شبا المنقار داجٍ كأنه	شبا قلمٍ من فضة مدّ في حبر

...الخ

ففي هذه القصيدة جميع عناصر المعارضة لقصيدة ابن فرناس، فقد التزم ابن حصن وزن قصيدة ابن فرناس وقافيتها ورويّها وموضوعها (وصف الطيور)، بل تعدّى إلى الاحتذاء بابن فرناس في أسلوب وصف الطير من خلال ذكر أجزاء الطير ولون كل جزء وصفته مع الاتكاء على الألوان والتشبيهات، كما نجد بعض معاني ابن فرناس وألفاظه في أبيات ابن حصن، مما يجعل الاحتمال بأن ابن حصن الإشبيلي قد تمثل قصيدة ابن فرناس احتمالاً وارداً.

(١) انظر ترجمته في: ابن بسام الشنتري: الذخيرة، ق ٢ م ١ ص ١٥٨؛ ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٢٥٠/١.

(٢) ابن بسام الشنتري: الذخيرة، ق ٢ م ١ ص ١٦٦-١٦٧؛ ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٢٥١/١.

ومن الذين تمثلوا رائية عباس بن فرناس هذه، الشاعر مؤمن بن سعيد في قصيدته التي يصف بها قصر كُنُش الذي بناه الأمير محمد بن عبدالرحمن بأسفل قرطبة، ومطلعها<sup>(١)</sup>:

مجالسُ يُرضي العينَ إفراطُ حُسْنِها      كأن حناياها حواجبُ خَرْدٍ

وفي "المقتبس"<sup>(٢)</sup> أن مؤمناً بن سعيد "اقتدى فيها بقريعة عباس بن فرناس في الرصافة المقدم ذكرها". وفي هذه القصيدة - كما في قصيدة ابن فرناس - وصف للغرف والأقواس والزخارف والجنان المحيطة بالقصر والطيور والثمار.

ولا غرابة أن نجد الشعراء الأندلسيين يتمثلون قصيدة ابن فرناس. وقد أورد صاحب "المقتبس" رأي النقاد فيها قائلاً "اتفقوا كلهم على أنه أحسن ما قيل في معناه"<sup>(٣)</sup>.

ومن شعر عباس بن فرناس في وصف الطبيعة قوله في صفة روضة<sup>(٤)</sup>:

ترى وردها والأقحوان كأنه      بها شفةً لمياء ضاحكها ثغرٌ

ويرى الدكتور بدير متولي حميد في هذا البيت أنه لعله يكون أول محاولة عند الأندلسيين لوصف الرياض والطبيعة<sup>(٥)</sup>.

ولعباس بن فرناس مقطوعات شعرية مختلفة في الوصف أكثرها داخل في باب وصف الطبيعة بمعناها الواسع، فمن ذلك قوله في وصف فلاة<sup>(١)</sup>:

(١) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د/ محمود مكي)، ص ٢٣٧-٢٤٢.

(٢) نفسه، ص ٢٣٧.

(٣) نفسه، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٨، الضبي: بغية الملتمس، ص ٤٣١.

(٥) حميد، الدكتور بدير متولي: قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤، ص ٦٣.

موسومة بالبُعد تحسبُ سهلها  
فكأنها دارٌ تقادفَ صحنها  
القى السماءُ بحولهِ اطنانا  
لم يجعل الباني لها أبوابا

وقوله في وصف السراب<sup>(٢)</sup>:

يفلقن لجة إليه فأمامها  
فكأن ذا موسى وذاك بأثره  
حاد وآخر خلفها لم يلحق  
فرعون إلا أنه لم يغرق

وقوله في انبلاج الصبح<sup>(٣)</sup>:

فبتنا وأنواع النعيم ابتذلنا  
إلى أن بدا وجه الصباح كأنه  
ولا غير عينيها وعيني كالي  
جبين فتاة لاح بين حجال

إلى غير ذلك من المقطوعات<sup>(٤)</sup>.

وكان لموضوع الغزل نصيبٌ في شعر ابن فرناس، لكن أكثره جاء ضمن أغراض أخرى، فمن ذلك قوله بمناسبة عودة الأمير محمد منتصراً مع حلول عيد الفطر، يصف المناسبتين معاً<sup>(٥)</sup>:

طابا كتفاحتي خدَّ منعمة  
معقريين كنوني كاتب نُوطا  
توردا في بياض بين صدغين  
فقابلا من امداد المسك راعين

(١) الكتاني: التشبيهات، ص ١٧٧.

(٢) نفسه، ص ١٧٧.

(٣) نفسه، ص ٢٧.

(٤) انظر وصفه لكوز في: الكتاني: التشبيهات، ص ٩٨، ووصفه لرحلة صيد في الكتاني: التشبيهات، ص ١٨٢-١٨٣، وانظر: شلبي: الأصول الفنية للشعر الأندلسي، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٥) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٣٨-٣٣٩.

أو مقلتي رشاً في طرفه حور مكحولتين بسحر البابلين  
أو كاجتماع الهوى والوصل في قرن لعاشق حار بين الهجر والبين  
.. الخ

ونحس في هذه الأبيات شفافية الغزل وبراعة التصوير وحسن التشبيه.

وفي مقطوعة غزلية أخرى نجد ابن فرناس يولد المعاني الغزلية ويبدع فيها  
فيقول<sup>(١)</sup>:

وعدابي وراحتي في يديها	إن تلك التي أحن إليها
فتبّدت فأفطروا إذ رأوها	نظر الناس في الهلال لفطر
فذنوب العياد طرا عليها	ذاك في سبعة وعشرين يوماً
مستهماً يطير شوقاً إليها	ولحيني بانث ولم تشف قلبا

فالشاعر لم يكرر المعنى المألوف الذي يشبه وجه محبوبته بالقمر، إنما اعتمد عليه في استنباط معنى جديد منه، فجعل محبوبته في الوقت الذي كان الناس يرقبون هلال العيد في أواخر شهر رمضان، وكان ظهورها في ذلك الوقت بالذات. سبباً في إنهاء الناس صيامهم قبل ظهور الهلال، وكأنه أراد أن يقول أن الناس لم يفرقوا بين إشرار وجهها وظهور الهلال المنتظر.

أما الهجاء في شعر عباس بن فرناس فمصدره العلاقات الساخنة غير الودية بينه وبين بعض أقرانه من الشعراء والحاسدين، ومع أن المصادر الأدبية تتحدث عن مهاجاته مع مؤمن بن سعيد<sup>(٢)</sup> إلا أن ما وصلنا من شعر ابن فرناس في

(١) الصفي: الوافي بالوفيات، ٦٦٨/١٦.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ١٢٤، ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

غرض الهجاء قليل، ومن أمثلته ما رد به على مؤمن بن سعيد عندما سخر الأخير من قبته الفلكية<sup>(١)</sup> وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وهذا الهجاء - على قلته- فاحش، وقد ذكر ابن سعيد الأندلسي أن كلا الشعاعين قد أفحش في هجاء الآخر<sup>(٣)</sup>.

ولست أستبعد أن تكون هذه العلاقة المتوترة بين الشعاعين عاملاً من عوامل الرقي بالمستوى الفني للشاعرين، لأن كل واحد منهما يناقش الآخر ويسعى إلى أن يبذه في كل شيء، ويتجنب أن يقع في الخطأ خشية أن يتعرض للسانه.

ومع أن ابن فرناس كان حكيماً وفيلسوفاً وعرف بحكيم الأندلس<sup>(٤)</sup>، إلا أننا لم نعثر - فيما وصلنا من شعره- على قصائد أو مقطعات في الحكمة، إلا ما لا يكاد يذكر، نحو قوله<sup>(٥)</sup>:

كلُّ هوى لا يميثُ صاحبه      فأصل ذاك الهوى من البُغض

هذا عن أغراض الشعر عند عباس بن فرناس، أما عن السمات العامة لهذا الشعر فيمكن القول إن عباس بن فرناس من الشعراء المجددين الذين تأثروا ببيئة الأندلس العامة وبيئتهم الخاصة، وقل التأثير التقليدي المشرقي على أشعارهم. ولعل هذا هو ما قصد إليه حرقوص (توفي نحو ٣٢٠هـ/٩٣٢م) عندما وصف ابن فرناس قائلاً "وكان أقل الناس سرقة من شعر غيره"<sup>(٦)</sup> ذلك أن قضية السرقات الشعرية لم

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٨/١٦.

(٢) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

(٣) نفسه، ٣٣٣/١.

(٤) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١، المقري: نفع الطيب، ٣٧٤/٣.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٨/١٦.

(٦) نفسه، ٦٦٧/١٦.

تكن بعد قد أخذت تَوَرَّق النقاد على الصورة التي ظهرت عليها في القرن الرابع الهجري وتركزت بشكل رئيسي على شعر أبي الطيب المتنبي (٣٠٣هـ-٣٥٤هـ/٩١٥-٩٦٥م)، ولم تكن هذه القضية قد احتلت مكانة بارزة في زمن ابن فرناس (ت ٢٧٤هـ/٨٨٧م) أو في زمن حرقوص (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م).

وإذا كان ابن فرناس أقل الناس تأثراً بشعر غيره وأقلهم سرقة من شعر السابقين فمن الطبيعي أن يتجه إلى ابتكار المعاني والصور والأوصاف، ولذلك نجد حرقوصاً يصفه بقوله "كان شاعراً مقلماً وفحلاً مجوداً مطبوعاً مقتدرًا، كثير الإبداع، حسن التوليد، مليح المعاني، بعيد الغور، رقيق الذهن"<sup>(١)</sup>.

فكثرة الإبداع وحسن التوليد هما المجال للشاعر الذي يأنف من التأثر بشعر غيره أو السرقة منه، ولهذا السبب أيضاً وصفه ابن سعيد الأندلسي بأنه كان "شاعراً مقلماً"<sup>(٢)</sup> ولأجل هذا كان من الشعراء ذوي الصدارة في بيت الأمراء من بني أمية، ولأجل ذلك أيضاً أثر ابن فرناس فيمن جاء بعده من الشعراء الأندلسيين كما بينا في الحديث عن أغراض شعره.

وليس بعيداً على عباس بن فرناس الذي كان مبدعاً ومبتكراً ومجدداً في مجالات العلم والصناعة أن يكون كذلك في مجال المعاني والصور الشعرية. ولئن كان من العسير الجزم بأن معنى من المعاني أو صورة من الصور هي مما لم يسبق إليه عباس بن فرناس، إلا أن هنالك بعض المعاني والصور التي يستشعر الباحث جدتها واختصاصها به، فمن ذلك قوله في وصف انبلاج الصبح<sup>(٣)</sup>:

إلى أن بدا وجه الصباح كأنه جبين فتاة لاح بين حجال

---

(١) نفسه، ٦٦٧/١٦.

(٢) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

(٣) الكتاني: التشبيهات، ص ٢٧، وانظر: شلبي: الأصول الفنية للشعر الأندلسي، ص ٢٩٦.



وقوله يصف انعطاف كلب الصيد على الأرنب والانتفاض عليه في أثناء  
رحلة صيد<sup>(١)</sup>:

جادت له بعطفة لم تتهم      كما انتفى في رجعه مَشَقُّ القَمِّ

وقوله في المسجد الذي بناه الأمير محمد بن عبدالرحمن<sup>(٢)</sup>:

بنى لهم مسجداً جلت عجائبه      لولا السماء لما ضاهاه بنيانُ

وقوله في مدح الأمير محمد<sup>(٣)</sup>:

يا ابن الخلائف يا محمد يا      من سيفُهُ في راحة النصر

وهناك صور أندلسية أصيلة مستوحاة من بيئة الأندلس، نحو قوله في وصف  
روضة<sup>(٤)</sup>:

ترى وردَها والأقحوانَ كأنه      بها شفةٌ لمياءً ضاحكها تُعْرُ

إلى غير ذلك.

ولا يقتصر التجديد عند ابن فرناس على المعاني والصور وإنما يتعدى ذلك  
إلى البناء الداخلي والخارجي للقصيدة، فقلما نجد قصائده تلتزم الترتيب التقليدي  
لأجزاء قصيدة المدح من حيث البدء بالوقوف على الأطلال ووصف الرحلة إلى  
الممدوح ووصف الرحلة وغير ذلك. ومن حيث البناء الداخلي قلما نجد أجواء

---

(١) الكتاني: التشبيهات، ص ١٨٣.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي) ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٣) نفسه، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٣١٨، الضبي: بغية الملتبس، ص ٤٣١.

الصحراء المشرقية وأسماء الأماكن والنباتات والحيوانات المشرقية وأسماء النساء المشرقيات وغير ذلك مما يتعلق ببيئة الشرق العربي.

ويمكن ردّ ظاهرة الخلو من الصور والإيحاءات المشرقية في شعر عباس بن فرناس إلى كونه ينتمي إلى أصل بربري، فقد ذكر ابن سعيد الأندلسي أن ابن فرناس كان مولى من موالي بني أمية في الأندلس وبيته من برابر تَاكْرُتًا<sup>(١)</sup>. فلا نتوقع منه إذاً أن يتمثل الشعر المشرقي كثيراً كما فعل أصحاب الاتجاه التقليدي الذين يعبرون بتمثلهم لشعر المشاركة عن تعلقهم بالأصول العربية في المشرق وعن حنينهم إلى وطن الأجداد، كما هو الحال في شعر عبدالرحمن الداخل (ت ١٧٢هـ/٧٨٨م).

وفي مقابل ضعف الأثر المشرقي في شعر ابن فرناس نلاحظ قوة الأثر الأندلسي، فقد تأثر ابن فرناس بالبيئة الأندلسية تأثراً واضحاً، من جهة الموضوعات والأساليب، فموضوعات وصف الطبيعة ووصف مجالس الطرب والغناء ووصف القصور والحديث عن الانتصارات الأندلسية هي الغالبة على شعره. أما من جهة اللغة والأساليب فلغة ابن فرناس رقيقة رقة الطبيعة الأندلسية، عذبة عذوبة مياهها وأنهارها ونسائمها، متلونة تلون أزهارها وأشجارها وسهولها وجبالها، ذات إيقاعات موسيقية كتلك التي تصدر عن طيورها المغردة وعن مجالس الطرب والعزف. وقلما نجد في هذا الشعر ألفاظاً غريبة أو ممجوجة.

ومما يلحظ في شعر عباس بن فرناس أن ثقافة الشاعر واهتماماته قد انعكست على لغته الشعرية، فنقع على ألفاظ من علم النحو وعلم الكتابة والخط وعلم الفلك وغيرها، غير أن ابن فرناس لم يتكلف إقحام تلك الألفاظ في شعره من أجل استعراض قدراته ومعارفه وجوانب ثقافته - كما فعل كثير من المنشئين

---

(١) ابن سعيد الأندلسي: المغرب، ٣٣٣/١.

والشعراء في العصور التالية لعصر ابن فرناس - بل جاءت هذه الألفاظ في شعره بصورة تلقائية عفوية نتيجة انشغال الشاعر بهذه العلوم والفنون، وجاء في سياق لائق بها، وادت ابن فرناس بأنه كان شاعراً مطبوعاً<sup>(١)</sup>، وأكثر ما نلقاه في شعر ابن فرناس من مصطلحات العلوم المصطلحات الفلكية، كما في الأبيات التي يمدح فيها الأمير محمد بن عبدالرحمن ومطلعها<sup>(٢)</sup>:

تحفظ من الهجران ان كنت تقدر يموت الفتى في حبه حين يهجر

وكما في الأبيات التي يمدح فيها الأمير محمداً ويتنبأ له فيها بمزيد من الانتصارات على الأعداء، فيقول<sup>(٣)</sup>:

لتطبّقن على الدنيا خلافتّه سماء جود لها ماء اللهى مطرُ  
ويهلك الشرك في أقصى مداخله حتى يغيب فلا يُدرى له أثرُ  
بذاك تخبرنا غرُّ النجوم كما أوحى إلهيا بذاك الشمسُ والقمرُ

وفي قصيدته التي وصف بها قصر الإمارة في منية الرصافة بقرطبة تصادفنا مفردات كثيرة متصلة بالفلك، في نحو قوله<sup>(٤)</sup>:

وأعرافه الشم التي لاح دونها نجوم الثريا والسماكين والغفر<sup>(\*)</sup>..  
حنايا كأمثال الأهله رُكبت على عمد تعدد في جوهر البدر

(١) الصفي: الوافي بالوفيات، ١٦/٦٦٧.

(٢) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٦.

(٣) نفسه، ص ١٢٤.

(٤) نفسه، ص ٢٢٨.

(\*) الغفر: منزلة من منازل القمر، ثلاثة أنجم صغار، وهي في الميزان (لسان العرب).

حتى في غزله بمحبوبته، يحسّ المرء لدى القراءة الأولى أنه لغز له صلة  
بعلم الفلك حين يقول ابن فرناس<sup>(١)</sup>:

نظر الناس في الهلال لفطر      فتبتدت فأفطروا إذ رأوها  
ذاك في سبعة وعشرين يوماً      فذنوب العباد طرا عليها

ومن خلال بعض التشبيهات التي استخدمها عباس بن فرناس في شعره تظهر  
لنا عناية ابن فرناس بالخطوط والكتابة والإملاء وعلم اللغة، ففي وصفه لكلب  
صيد يقول<sup>(٢)</sup>:

بأغضفٍ مُعلِّمٍ أو قد علّم      كأن شقّ الشّدق من فيه القضم  
كافٌ أجيدٌ مَطَّها      في حُسن ضمٍّ...

وفي وصفه لصدغين ناعمين يقول<sup>(٣)</sup>:

معقرين كنوني كاتب نُقطا      فقابلا من مداد المسك راعين

وكان من عادة الأندلسيين نقش أشعارهم على بعض المصنوعات من السيوف  
والرماح والتروس والتماثيل والأقمشة، إجلالاً لشعرهم وتخليداً له وتزييناً للمادة  
المصنوعة، وإعظاماً وتكريماً للشخص الذي ترفع إليه هذه الهدية، وكان عباس بن  
فرناس من أوائل من سنّوا هذه السنة، فمن ذلك ما كتبه بالذهب الخالص على  
تفاحة محجولة<sup>(٤)</sup>:

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٦٨/١٦.

(٢) الكتاني: التشبيهات، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(٤) ابن حيان: المقتبس (تحقيق: د. محمود مكي)، ص ٢٨٤-٢٨٥.

تفاحة مصفرة البعض      بخوفها من ألم العض

إلى آخر الأبيات.

وغالباً ما يُجعلُ الشعرُ على لسان الهدية التي تُرفع للممدوح أو المهدي إليه، فتكون الهدية أكثر وقعاً في النفس، فعندما صنع عباس بن فرناس الآلة المسماة المنقانة نقش عليها ثلاثة أبيات ورفعاها للأمير محمد، وجعل الأبيات على لسان المنقانة، ومطلعها<sup>(١)</sup>:

الا انني للدين خيرُ أداة      إذا غاب عنكم وقت كل صلاة

وعلى الرغم من قلّة الشعر الذي انتهى إلينا لعباس بن فرناس، إلا أن هذا الشعر يشهد بأن قائله قد نوّع في موضوعاته وأغراضه تنوعاً شمل معظم مجالات البيئة الأندلسية التي يعيش في ظلها، وشمل مختلف مجالات اهتمامه، كما نوّع في طرائف نظمه، فمن قصائد مطوّلات إلى مقطعات تختصر موضوع القصيدة في أبيات قليلة، ومن مبالغة في بعض المعاني إلى اعتدال في بعضها الآخر، ومن تجليات في التصوير الفني إلى نقل حرفي لبعض الموصوفات، ومن مباشرة في الخطاب إلى اعتماد على الإيحاء والتشخيص، إلى غير ذلك مما يشهد بتمكن عباس بن فرناس من أدوات الفن الشعري، ويجعله يحتل مكانة مرموقة بين شعراء عصره.

---

(١) نفسه، ص ٢٨٢-٢٨٣.

## الخاتمة

عباس بن فرناس نموذج فريد للإنسان الأندلسي ذي العقل المبدع والإحساس المرهف، اللذين كان لهما الأثر البارز في التراث العلمي والأدبي لهذه الشخصية الفذة.

لم يشغله العلم عن الأدب، ولا الحكمة والفلسفة عن اللهو والطرب، ولا الانصراف إلى الصناعة والابتكار عن الأخذ من متع الحياة الأندلسية، بنصيب، فقد كان مغنياً وملحناً وعازفاً وشاعراً وأديباً في الوقت الذي كان فيه عالماً ومفكراً وفيلسوفاً وحكيماً ومنجماً وفلكياً ومخترعاً وصانعاً.

ومثلما تفوق ابن فرناس في المناحي العلمية تفوق أيضاً في الأدب، فكان شاعراً متميزاً بّدّ غيره من شعراء عصره، واحتل بسبب ذلك مكانة مرموقة عند ثلاثة من أمراء بني أمية، فكان شاعر بلاطهم الأول، وقال فيهم ولهم شعراً كثيراً، مثلما قال الشعر في شتى أغراضه التي أملتها عليه بيئة الأندلس، وبرع في فنه الشعري حتى تأثر به اللاحقون من شعراء الأندلس.

وابن فرناس ليس الأخير من عباقرة هذه الأمة الذين أضافوا التفوق في الإبداع الأدبي إلى التفوق في مجالات العلوم المختلفة، فما برحت هذه الأمة منذ فجر تاريخها وحتى اليوم تتجب أمثال هؤلاء العلماء الشعراء.

وشعر عباس بن فرناس - على قلة ما وصلنا منه - شاهد على عظمة الحضارة الأندلسية، بما يعكسه هذا الشعر من صور الإبداع العقلي عند هذا الشاعر العالم ذي المواهب المتعددة.